
بهجة الطالبين

◻ **بهجة الطالبين في مهمات أصول الدين**

تأليف: الإمام زين ابراهيم سميط

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

قياس القطع: ١٧×٢٤

الرقم المعياري الدولي: ISBN : ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-١٣٤-٧

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٢٠٠٩/٣/٨٢٦

◻ **عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية**

تأليف : العلامة المسند السيّد عيدوس بن عمر الحبشي

تحقيق : محمد أبو بكر عبد الله باذيب

الطبعة الثانية : ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

قياس القطع: ١٧×٢٤

الرقم المعياري الدولي: ISBN: ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-١١٩-٤

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٠٠٨/١٢/٤١٤٥



الجمهورية اليمنية، تريم (حضرموت)

هاتف: ٠٠٩٦٧٧٣٣٧٦٣١٨١ ، ص . ب ٥٨٠٧٦



تأليف

العلامة المحقق الداعي إلى الله

الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط

باعلوي الحسيني



دار العلم والدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

بهجة الطالبين في مهمات أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتصف في ذاته وصفاته بكل كمال، الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ولا زوال، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق، فجاهد في الله حق جهاده حتى اتضح الحق وزهق الباطل والشرك والضلال، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه خير صحب وآل.

وبعد،

فهذه مسائل مهمة تتعلق بأصول الدين، ملتقطة غالبها من كلام سادتنا العلويين أهل اليقين والتمكين والرسوخ في الدين، نفعنا الله بهم وبعلومهم وسائر المسلمين.

والمقصود من تأليفها جمع الفوائد وتحصين العقائد والدين خصوصاً في هذا العصر الذي كثر فيه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين من علماء السوء وأعداء الدين حتى قال رسول الله ﷺ في حديث حذيفة بن اليمان لما قال له: هل بعد ذلك الخير من شر؟، **قال:** «**نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»[1]. وقال ﷺ: «**أنا من غير الدجّال أخوف عليكم من الدَّجال**»، قيل من هم يا رسول الله؟ **قال:** «**علماء السوء**»[2].

---

(١) متفق عليه، البخاري: باب علامات النبوة (٣٤١١)، ومسلم: باب الأمر بلزوم الجماعة (٤٨٩٠).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: ٦/ ٢٣٥.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعصمنا من الزيغ والانقلاب، وأن يرفع من قلوبنا الرين والحجاب، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨] لا إله إلا الله وحده لا شريك له عليه توكلت وإليه متاب.

❊ ❊ ❊

مقدِّمة في علم التوحيد

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق:١٢]، وكفى بهذه الآية دليلا على شرف علم التوحيد.

قال سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه من أثناء الجواب: وعلم الكلام إنما هو دواء لأهل الشكوك، ومن انقدحت في نفسه شبهة فيأخذ منه على قدر دائه، فإذا حصل الشفاء فليس للنظر فيه كثير فائدة ولا كثير منفعة، وما ذكره الله في القرآن من ذلك فيه غاية الكفاية ونهاية النفع والفائدة، ولسْتَ ترى هناك إلا الإجمال، وكذلك ما تراه في السنّة وكلام السلف الصالح. فاعلم أن الإجمال من هذا العلم أنفع من التفصيل إلاَّ لأهل الشبهة والإشكالات.

وقال رضي الله عنه: علم الأصول علمان، علم أصول الفقه، وهو عسر لا يكاد يفهم ولا يجب على كل أحد، وعلم أصول الدين، كالعقائد لا بد أن يأخذ الإنسان منه قدر الحاجة كعقيدة الإمام الغزالي، ورأينا كثيراً من العقائد ولم نر لأهل هذا الزمان أنفع منها للمبتدي منهم والمنتهي ولكن منتهيهم مبتدي. انتهى.

وسئل رضي الله عنه: هل الإعتقاد الحق منحصر في عقيدة الأشعري وما خرج عنها فهو باطل؟

فأجاب نفع الله به بقوله: عقيدته هي الحق، وما خرج عنها فيه حق وباطل، وإنما فاق غيرَهُ لكونه قال: آمنتُ بالله وما جاء عن الله على مراد الله وفوض الأمر إلى الله تعالى. انتهى.

وقال سيدنا الحبيب عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه بعد ذكره علم الكلام وأن السلف لا يتوغَّلون فيه لما فيه من عظيم الخطر، قال: لأن الإنسان إذا قال مثلاً: نزَّهت ربي فقد غلط، إلا إن قال نزهته بتنزيههِ لنفسه، فإنه سبحانه قد نزه نفسه بنفسه، فكيف ينزهه الإنسان وهو منزَّهٌ بتنزيهه نفسه! وكذلك إذا قال الإنسان وحّدتُ ربي فقد غلط، لأنه قد وحّد نفسه بنفسه فهو موحَّد من غير توحيده، إلا إن قال شَهدتُّ له بالوحدانية بشهادته لنفسه فهو صحيح، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال الحبيب الإمام أحمد بن حسن العطاس رضي الله عنه: إن السلف (أي العلويين) لا ينظرون في كتب التوحيد المشتملة على المباحث الدقيقة والمسائل الكلامية. قال سيدنا الشيخ عبد الله العيدروس: هذا مثل أن يقول أحدكم في معرض المدح: فلان ليس بحائك وليس بحجام وهكذا وذلك ذم لا مدح. وسيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد يقول: قراءة السنوسية وأم البراهين حرام. وقال رضي الله عنه: السلف لايميلون إلى التوغل في علوم التوحيد، ويقتصرون على العقيدة الأولى من الإحياء للغزالي، ويعلمونها الكبار والصغار ما يحفظونهم السنوسية، ولا ما فيه جدل، ولا ما يورث التشبيه، وهذه سيرة السلف. انتهى. مع تصرف.

❊ ❊ ❊

مبادئ علم التوحيد

مبادئ علم التوحيد كبقية الفنون عشرة، **فحده لغة**: العلم بأن الشيء واحد، **واصطلاحا**: علم يبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية بأدلتها اليقينية القطعية، **وموضوعه**: ذات الله تعالى وذات رسله وما تعلق بهما من حيث الواجب والجائز والمستحيل **وثمرته**: معرفة الله ورسله بالبراهين القطعية ثم الفوز بالسعادة الأبدية بالخلود في الجنان العلية، **واستمداده**: من سواطع العقول وقواطع النقول، **وفضله**: أفضل العلوم على الإطلاق لتعلقه بذات الله تعالى ورسله عليهم السلام كما قيل:

وأفـضَلُ العلـومِ بِـالإطلاقِ ... عِلْـمٌ بِـهِ مَعْرِفَـةُ الخَـلَّاقِ

واسمه: له ثلاثة أسماء منظومة في قول بعضهم:

فَصْلٌ ومَا للفَـنِّ مِـنْ أسـماءِ ... فَهْـيَ ثَلاثَـةٌ بـلا امْـتِرَاءِ

علمُ الكلامِ، وأصولِ الدِّينِ ... وعلـمُ توحيـدٍ عـلى اليقـينِ

ومسائله: كل قضية يبرهن عليها أي يؤتي لها ببرهان وحكمه: نظمه بعضهم بقوله:

ففرضُ عينٍ مـا مِـنَ التَّوحيـدِ ... يـُخرِجُ ذا العَقْـلِ مِـنَ التَّقليـدِ

وما بِهِ الـرَّدُّ عـلى أهـلِ الـشُّبَهْ ... فـرضُ كفايـةٍ وتلـكَ المرتَبَـهْ

بهـا يخاطَـبُ الـذَّكِيُّ لا الغَبِـيّ ... ونَقْلَ مَنْـعَ النَّظَـرِ ابـنُ العـربي

عــن مالــكٍ والــشافعيِّ وأبي حنيفـــةٍ وأحمـــدٍ عنـــه أُبي

وواضعه: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة **٣٢٣**هـ وأتباعه، والإمام أبو منصور محمد ابن محمد الماتريدي المتوفى سنة **٣٣٣**هـ وأتباعه، وهم أهل السنة والجماعة في عرف الناس اليوم، وأهل المذاهب الأربعة كلهم معتقدون بعقيدتهما، وقد توسطوا بين مذهب الجبرية الذين أفرطوا والمعتزلة الذين فرطوا فخرج مذهبهم من بين فرث ودم خالصا سائغا للشاربين.

قال الإمام عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه شعراً:

وَكُـــنْ أشـــعرِيَّاً في اعتقـــادِكَ إنَّـــهُ

هُـوَ المَنْهَـلُ الـصَّافي عَـنِ الزَّيْـغِ والكُفْـرِ

وَقَـدْ حَـرَّرَ القُطْـبُ الإمـامُ مَلاذُنَـا

عَقِيدَتَـــهُ فَهْـــيَ الـــشِّفَاءُ مِـــنَ الـــضُّرِّ

وأعنِـي بِـهِ مَـنْ لـيسَ يُنْعَـتُ غـيرُهُ

بِحُجَّـــةِ إســـلامٍ فَيَـــا لَـــكَ مِـــنْ فَخْـــرِ

❊ ❊ ❊

الإسلام والإيمان

الإسلام هو الإنقياد الظاهري، والإيمان هو الإنقياد الباطني، فمن جمع بينهما فهو مؤمن كامل، ومن تركهما فهو كافر كامل، ومن ترك الإسلام وحده فهو مؤمن ناقص، ومن ترك الإيمان وحده فهو منافق، ولا ينفع أحدهما بدون الآخر، فإن المنافقين كانوا مستسلمين ظاهراً يُصلَّون ويَصومون ولكن كان عندهم تكذيب باطني وعدم تصديق، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] وعلماء اليهود كان عندهم تصديق باطني بأن نبينا محمداً رسول الله وأنّ ما جاء به حق، ولكن كان عندهم استكبار وعدم انقياد فلا ينفعهم ذلك.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

ونظم بعضهم حكم النطق بالشهادتين فقال:

وَمَنْ يَكُـنْ ذَا النُّطْـقِ مِنْـهُ مـا اتَّفَـقْ
فإنْ يَكُـنْ عَجْـزاً يَكُـنْ كَمَـنْ نَطَـقْ

وَإنْ يَكُــنْ ذَلِــكَ عَــنْ إِبَــاءِ
فحكْمُــهُ الكُفْــرُ بِــلا امْــتِراءِ

وإِنْ يكُــنْ عَــنْ غَفْلَــةٍ فَكَالإِبَـا
وَذَا الــذِي حَكَــى عِيــاضُ مَــذْهَبَا

وقِيْـــلَ كَـــالنُّطْقِ وَلِلجُمْهُـــورِ
نُـــسِبَ والـــشَّيْخِ أبي مَنْـــصُورِ
وَذَلِــكَ التَّفْــصِيلُ قَطْعــاً عُهِــدَا
بِمَــنْ بِــدَارِ الكُفْــرِ كــانَ وُلِــدَا
أَمَّــا الــذي وُلِــدَ في الإســلامِ
فَهُــوَ مُــؤمِنٌ لــدى الأعْــلامِ
وجــوبُ نُطقِــهِ وجــوبُ الفَــرعِ
يعــصِي بِتَرْكِــهِ فَقَــطْ في الــشَّرْعِ

(فائدة) قال سيدنا الحبيب عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به: الحكمة في كون الشهادتين ركناً واحداً من أركان الإسلام لا يصح انفكاك أحدهما عن الآخر، أن الشهادة لله تعالى حقيقة ولرسول الله ﷺ شريعة، والشريعة لا تنفك عن الحقيقة. انتهى. أي: أنهما كالشيء الواحد لا يقبل التفرقة بينهما، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشَّرح:٤]، وقد جاء في التفسير معناه: «لا أذكر إلا وتذكر معي، كما في التشهد والأذان والخطبة وغيرهما».

وأفاد سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه: أن الإسلام مجرد عمل فقط، والإيمان مجرد علم وتصديق والإحسان مشترك بينهما. الأول في الجوارح، والثاني في القلب والثالث فيهما. والأول ظاهر الثاني، والثاني باطنه، والثالث خالصهما، وهو الغاية من الإيمان والإسلام إذا اجتمعا صارا إحسانا.

وقال رضي الله عنه: المقام مقامان، مقام الإسلام ومقام الإيمان، فإذا حققتَ مقام الإسلام صار هو طريقك إلى الإيمان ولا طريق إليه إلا منه، ومن أراد الإيمان من غير طريق الإسلام بقي لا إسلام ولا إيمان. انتهى من تثبيت الفؤاد.

في اليقين وأقسامه

اليقين هو قوة الإيمان وثباته ورسوخه بحيث لا يقبل النقيض والتشكيك إما بسبب كثرة المجاهدة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، أو بكثرة تواتر سماع العلم. أو مشاهدة الآيات الكونية، قال تعالى حكاية عن خليله إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة:٢٦٠].

قال الحبيب عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه: أهلُ اليقين على ثلاث مراتب:

١ـ **أهل علم اليقين**: مثاله مثال من قال لك أن فلانا في البيت، والمخبر ثقة وصدقته فهذا علم اليقين.

٢ـ **أهل عين اليقين**: مثاله كمن جئت إلى بيته وناديته فأجابك وعرفت صوته لكن ما رأيت شخصه.

٣ـ **أهل حق اليقين**: مثاله من جئت إلى بيته وقابلته والناس يتفاوتون فيه، ومن تراه نهاراً ليس كمن تراه في الظلمة.

وهناك مرتبة رابعة: وهي حقيقة اليقين، لا تكون إلا لنبينا محمد ﷺ. انتهى مجموع كلامه.

❊ ❊ ❊

أقسام الحكم

الحكم المطلق: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

وينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرعي وعادي وعقلي، فالأول: هو ما كان بواسطة الشرع والثاني: ما كان بواسطة العادة والتكرار، كالنار محرقة والسكين قاطع، ويجوز أن يتخلف لعارض من معجزة لنبي أو كرامة لولي.

والثالث: وهو الحكم العقلي ما كان بواسطة العقل كالعالَمْ حادث، والله موجود، ولا يجوز أن يتخلف أبداً، وينقسم إلى واجب ومستحيل وجائز، وكل من الثلاثة ينقسم إلى ضروري ونظري، فالضروري هو: ما يدركه العقل بديهة من غير تأمل ونظري: وهو ما يفتقر إلى النظر أي الفكر المرتب في النفس على جهة تفضي إلى العلم.

وقد نظم بعضهم أقسام الحكم العقلي الثلاثة مع ذكر الأمثلة فقال:

أقسامُ حُكمِ العَقْلِ إذْ تُمَازُ
وُجُوبٌ اسْتِحَالةٌ جَوَازُ
فَوَاجِبٌ لا يَقْبَلُ النَّفْيَ بِحَالْ
واجعلْ لَهُ تَحَيُّزَ الجِسْمِ مِثَالْ
والمستحيلُ ضدُّه كأنْ يُرَى
مِنَ السكونِ والتحرُّكِ عَرَى

وَجَــائِزٌ قَابِــلُ نفــيٍ أو ثُبــوتْ

كأنْ يَعـيشَ العـامَ زيـدٌ أو يَمُـوتْ

* * *

حدوث العالم

العالم اسم لما سوى الله تعالى من جميع المخلوقات أعراضاً كانت أو أعياناً، والدليل على حدوثه أي وجوده بعد العدم، هو أن العالم مركب من أعراض وأجرام، فالأعراض هي الأوصاف التي تلازم الأجرام ولا تقوم إلا بها، كالحركة والسكون والطول والعرض والصغر والكبر، فهذه الأعراض متغيرة بالمشاهدة وكل متغير حادث، والأجرام ملازمة للأعراض لا تنفك عنها وما لازم الحادث فهو حادث، فينتج عن ذلك العالم حادث.

قاعدة: كل قديم باقي ولا ينعكس، لأن بعض العالم لا يَفنى كغيره من المخلوقات وقد نظمهُ بعضهم بقوله:

يَـا سَـائِلاً عـن حَادِثـاتٍ بَاقِيـهْ

العـرشُ والكـرسيُّ ثُـمَّ العاليـهْ[1]

لَـوْحٌ وَرُوحٌ قَلَـمٌ وَالهاوِيَـهْ

وعَجْـبُ ذَنْـبٍ آخِـرُ الثَّمانِيَـهْ

(تنبيه): قول أهل الإعتزال أن الأعراض حوادث لا أول لها باطل قطعاً، لأن قولهم هذا قضية متكاذبة أولها يكذب آخرها وآخرها يكذب أولها، ويرد عليهم أيضاً بأن الأعراض لا تخلو من أمرين، إما بأن يكون الأزل خاليا منها أو غير خال منها، فإن كان

---

(١) أي الجنة.

الأول فهي حادثة وهو المطلوب، وإن كان الثاني فهي قديمة ولزم أن لا تتغير، والعيان يكذب ذلك لكونها متغيرة بالمشاهدة.

❊ ❊ ❊

حكمُ إيمان المقلِّد

المعرفة: هي الجزم المطابق لما في نفس الأمر عن دليل خرج بقوله عن دليل إيمان المقلد، **فقد اختلف فيه على أقوال:**

الأول: لا يصح إيمانه فيكون كافراً بناء على أن النظر واجب وجوب العقائد.

الثاني: يصح إيمانه مع العصيان، فهو مؤمن عاصي بناء على أن النظر واجب وجوب الفروع.

الثالث: يصح إيمانه من غير عصيان، بناء على أن النظر مندوب.

الرابع: إن حصلت معه قوة جزم بحيث لو رجع مُقلَّدُه لم يرجع فإيمانه صحيح وإلا فلا.

الخامس: إن كانت فيه أهلية للنظر فهو عاصي بتركه النظر مع صحة إيمانه، وإن لم تكن فيه أهلية كالعامِي لم يكن عاصيا. وهذا الأخير هو المعتمد عند جمهور المحققين.

قلتُ: وقد سئل الإمام عبد الله بن علوي الحداد عن إيمان المقلِّد؟

فأجاب رضي الله عنه بقوله: اعلم أن إيمان المقلد فيما نراه ونقوله إيمان صحيح لا يمتري في صحته مُحصِّل له علم ومعرفة بأول هذا الدين وابتداء ظهوره، وما كان ﷺ يقبله من أجلاف العرب وسكان البوادي منهم، وهذا أمر واضح جلي. انتهى.

فصلٌ

في أصول الدين وقواعد العقائد

أمور العقيدة تنقسم إلى ثلاثة أقسام؛ الإلهيات والنبويات وأمور الآخرة وهي السمعيات، وعلى هذه الثلاثة مدار علم التوحيد الذي هو أصل جميع العلوم الدينية وغيره فرع لها وللعلماء في كل قسم كلام، وأضيقها كلاما الإلهيات فلنبدأ بها.

لفظ الجلالة (الله) علَمٌ على الذات الواجبة الوجود المتصفة بصفات الكمال المنزهة عن النقائص.

فقولنا: علَمٌ على الذات الواجبة الوجود، مردود به على الدهريَّة الذين ينكرون الصانع، ويقولون: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقولنا: المتصفة بصفات الكمال، مردود به على المعطِّلة الذين يثبتون الذات وينفون الصفات، وهم كفار، كالذين قبلهم.

وقولنا: المنزهة عن النقائص، مردود به على المشبِّهة الذين يشبِّهون الخالق القديم الباقي بالمخلوق الحادث الفاني، وقد اختلف في تكفيرهم.

وقال بعض المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات، فليس كذات الله تعالى ذات ولا كصفته صفة ولا كفعله فعل ولا كاسمه اسم إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ فقط، وجلَّت الذات القديمة أن تكون لها صفة حادثة كما استحال أن يكون للذَّات المحدثة صفة قديمة.

قال سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران رضي الله عنه:

معنى لا إله إلا الله في الشريعة: لا معبود غير الله تعالى وفي الطريقة: لا مقصود غير الله، وفي الحقيقة: لا موجود في الدارين غير الله. نقله في الغرر.

❊ ❊ ❊

فصلٌ في الذات المقدَّسة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] المنفي في الآية الكريمة **شيئان**:

الأول: رؤية الأبصار في الدنيا.

والثاني: الإدراك بمعنى الإحاطة في الدنيا والآخرة.

ومن كلام سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه: العجز عن إدراكه تعالى إدراك والخوض في ذاته إشراك.

وقد نظم بعضهم معنى لا يَعرِفُ اللهَ إلا اللهُ فقال:

ولا يُحِيطُ عَالِمٌ بذاتِهِ	عِلْماً كما قالَ ولا صِفَاتِهِ
وَلَوْ راَهُ خَلْقُهُ تعالى	لأكثَرُوا الإعظامَ والإِجْلالا
فَدَلَّ ذاكَ أنَّهُ على صِفَهْ	مِنَ الكمالِ لم تَنَلْهُ مَعْرِفَهْ
غايةُ عِلْمِ العُلَما وَمُنْتَهَى	إدراكِ أصحابِ العُقُولِ والنُّهَى
أنْ يَعْلَمُوا أنَّ لهذَا الخَلْقِ	مُختَرِعاً أَوْجَدَهُ بالحَقِّ
مُتَّصِفاً بِصِفَةِ الكَمالِ	مُنَزَّهاً عَنْ ضِدِّها المُحَالِ

وقال آخر:

وَكُـــلُّ مَـــا لِرَبِّنَـــا يَنْـــضَافُ

فالوَصْـفُ معقـولٌ لا الاتِّـصَافُ

وَمَـــا جَـــرَى بِعَـــالَمِ الخَيَـــالِ

في القلـــبِ في الله مِـــنَ المُحَـــالِ

إذْ كــــانَ رَبُّنَـــا ولا سَـــماءُ

كــــلاَّ ولا أرضٌ ولا هَـــــوَاءُ

وحيـــثُ كـــانَ ثَـــمَّ كـــانَ الآنَ

أي حيـــثُ لا زمـــانَ لا مكانـــا

فعنـــدَ ذاكَ تَرجِـــعُ العُقُـــولُ

للعَجْـــزِ عـــن إدراكِـــهِ تَقُـــولُ

تَـــسَعُنا مَنَـــاهِجُ الرَّسُـــولِ

وآلـــهِ وصـــحبِهِ العُـــدُولِ

❊ ❊ ❊

صِفةُ الوجُود

الوجود صفة نفسية لا تتحقق الذات إلا بها وعدّه من صفات الله الواجبة هو ما ذهب إليه الإمام الفخر الرازي وحجته أنك تقول: الذات موجودة فتصفها بالوجود، وذهب الإمام أبو الحسن الأشعري أن الوجود عين الذات، وجُمع بينهما أن الأول باعتبار ما في الذهن فهو صفة والثاني باعتبار ما في خارج الذهن فاتفق القولان.

(تنبيه) ماله وجود في الخارج له أربع إطلاقات نظمها بعضهم:

وَمَا لَـهُ وُجُـودُ خَـارِجٍ وُجِـدْ ذِهْنـاً وَلَفْظَـاً وَكِتَابَـةً تَـرِدْ

وذي الوُجُودَاتُ مَجَازٌ مَا عَـدَا وجـودَهُ الـذي بِخَـارِجٍ بَـدَا

أي الموجود في الأذهان والموجود في اللسان والموجود في البنان والرابع وهو الحقيقة الموجود في العيان.

❋ ❋ ❋

الدليل على وجود الله تعالى

ومن أعظم الأدلة على وجود الله تبارك وتعالى، ترجيح صفة الوجود بالنسبة للعالم على صفة العدم مع أنهما أي الوجود والعدم ككفَّتي الميزان، لا يمكن أن ترجح إحداهما على الأخرى إلا بمرجِّح بل إن العدم هو الأصل، والمرجِّح لوجود العالم هو الله جلَّ وعلا ولولا ذلك لرجحت كفة العدم فلم يوجد العالم فافهم.

قال الحبيب الإمام أحمد بن حسن العطاس نفع الله به: الأشياء كلها قائمة بذاته تعالى، ولا وجود لها إلا بوجوده، والعارفون يستدلون بالخالق على الأشياء، وأهل الظاهر يستدلون على الخالق بالأشياء.

قال في الحكم: فشتَّانَ بين من يُستَدَلُّ به ومن يُستَدَلُّ عليه متى غاب حتى يستدل عليه! ومتى بَعُدَ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه! قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ١٠][1].

قال الحبيب العارف بالله عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به: ويجمع علم التوحيد قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] فالسموات والأرض والموجودات كلها دالة على ذات موصوفة بالحياة والقدرة، والذات هي ذات الله المقدسة فهو سبحانه الحي وجميع الأشياء حياتها في حياته. انتهى.

فالكلُّ هو حقيقة وجوده وإيجاده، فما وجدت إلا بإيجاده وما بقيت إلا بإمداده جل شأنه.

---

(١) هذا سؤال استنكاري أي لا شك في وجود فاطر السموات والأرض.

وجود الصنعة يدل على وجود الصانع

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦] **وفي ذلك قال بعضهم:**

فِعْــلٌ بــدونِ فَاعِــلٍ قَطْعَــاً مُحَــالْ
وفاعــلٌ دُونَ صِــفَاتِهِ اســتَحَالْ
ودونَ ذاتٍ الــصفاتُ يَــسْتَحِيلْ
قيامُهــا بِنَفْــسِها قطعــاً أُحيــلْ

وقال بعض العارفين: إن الناس في التوحيد على قسمين: أهل الشهود، وأهل الحجاب، فأهل الحجاب يقولون بظهوره تعالى بكل شيء من حيث أن كل شيء يدل عليه فإن الأثر يدل على المؤثر.

وفي كلِّ شَيءٍ لـهُ آيـةٌ … تَدُلُّ عـلى أَنَّـهُ وَاحِـدُ

وأما أهل الشهود فهم يقولون بظهوره تعالى في كل شيء بذاته، وهذا أمر لا يدرك إلا بالذوق.

تنزيهُ الله سبحانه عن سمات الحوادث ومشابهة المخلوقات

قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. **قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله**: جميع ما ورد في أمور الآخرة يحمل على الظاهر المعهود من غير تأويل، وجميع صفات الله تعالى مما توهم التشبيه، **وتنافي التنزيه على مذهبين:**

- إما السكوت عن التأويل مع اعتقاد التنزيه، وهو مذهب السلف.

- وإما الخوض في التأويل وحمل ما ورد على ما هو اللائق بجلال الله وقدسه، وهو مذهب الخلف. انتهى.

قلت: الأول هو إختيار السادة بني علوي رضي الله عنهم، قال الإمام عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به شعرا:

وَكُـــن في أحاديـــثِ الــصِّفاتِ وآيِهَــا

عـلى مـذهبِ الأسـلافِ حيـثُ الـسَّلامةِ

وقال رضي الله عنه: إذا أردت أن تنفي الجهة في حقه تعالى وتعلم أنه غير محتاج لجهة فأَثْبِتْ حدوث العالم، فإذا ثَبتَ فلا خفاء في ذلك، فأين كان قبل وجود الموجودات؟ وأين يكون عند قيام الساعة وعندما يطوي السموات والأرض بيمينه فيعدمهما فيعلم غناه عن الجهة؟ فأين كان قبل ذلك وبعده؟

ومن كلام القطب الرباني أبي بكر بن عبد الله العيدروس رضي الله عنه في التوحيد في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] قال فعُلم أن لا جهة ثَمَّ، لأن القائم أقرب إلى السماء من الساجد جل الله عن الأوهام وتعالى عن إحاطة العقول والأفهام.

وقال رضي الله عنه في حديث: «لا تفضِّلوني على يونس بن مَتَّى»[1]، لأنهُ ﷺ رقى إلى العرش والكرسي ويونس هبط إلى أسفل الأرضين، وكانا سواء في القرب بين يدي الله تعالى. انتهى.



---

(١) متفق عليه، وطرف لفظ الصحيحين: «لا تفضلوا يبن أنبياء الله ..» الحديث، البخاري: باب قول الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين) (٣٢٣٣)، ومسلم (٦٣٠٠).

بقيةُ صفات الله تعالى القديمة الأزلية

قولهم: الواجب لله تعالى عشرون صفة، هي التي دلت عليها الأدلة القطعية من الكتاب والسنة، وإلا فصفاته تعالى غير منحصرة، لأنه يجب في حقه كل كمال، وكمالاته لا تتناهى، وما يتناهى وهو المخلوق لا يحيط بما لا يتناهى.

(فائدة) صفات المعاني هي كل صفة تنسب إلى الوجود بحيث لو انكشف الغطاء لرأيناها، بخلاف الصفات السلبية فهي كل صفة تنسب إلى العدم، أي نفي ما لا يليق بجلال الله تعالى والصفات المعنوية تسمى صفات الأحوال، وهي ثابتة عند من يقول بوجود الواسطة بين الوجود والعدم، والتحقيق أن لا واسطة.

❊ ❊ ❊

فصلٌ

الصفات السلبية تسلب عن الله تعالى النقص مطابقة وتجلب له الكمال التزاماً وصفات المعاني تجلب له الكمال مطابقة وتسلب عنه النقص التزاماً.

وصفات المعاني ثلاث منها للكمال وهي: السمع والبصر والكلام، وأربع للتأثير وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة أي لها تأثير في الإيجاد والإمداد، وبينها تلازم، فإن القدرة متوقفة على الإرادة، إذ يستحيل أن يفعل شيئا لا يريده، والإرادة متوقفة على العلم، إذ يستحيل أن يريد شيئاً وهو غير عالم به، والثلاثة متوقفة على الحياة، إذ لا يوصف بذلك إلا من هو حي.

❊ ❊ ❊

فصلٌ

صفات المعاني على ثلاثة أقسام من حيث تعلقها

الأول: ما لا تعلق له، وهو الحياة؛ وهي صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بالإدراك، ومعنى التصحيح الوجوب في حق القديم، والجواز في حق الحادث إن سلم من آفات العقل.

الثاني: ما تعلقه عام بالواجبات والمستحيلات والجائزات لكن تعلق العلم تعلق انكشاف وتعلق الكلام تعلق دلالة.

الثالث: ما بينه نسبة عموم وخصوص من وجه، وهو السمع والبصر والقدرة والإرادة، فتجتمع هذه الأربعة في الممكن الموجود، ويختص السمع والبصر بتعلقهما بالواجب، وتختص القدرة والإرادة بالممكن الذي عَلِمَ الله أنه لا يوجد، كولد العقيم وإيمان أبي لهب، بناءاً على تعلقهما به نظراً إلى أصله في الأزل.

وقيل: لا تتعلقان به نظراً إلى جريان علم الله أنه لا يكون.

(فائدة) معنى التعلق طلب الصفة أمراً زائداً على قيامها بالذات، وقيل نسبة بين المتعلق والمتعلَّق به من النسب الإضافية التي يدركها الذهن ولا وجود لها في الخارج.

(تنبيه) قال سيدنا الإمام عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به: القرآن كلام الله قديم وليس يوصف بصوت ولا حرف وإنما هو معانٍ قائمة بذاته تعالى فهو قديم

والحروف المؤدية لمعانيه حادثة وكذلك الأصوات، وإنما لما كان المخاطبون به أجسام لم يفهم إلا بالأجسام وهي الحروف، فلا يعرف المعنى القائم بذاته تعالى إلا بالحروف، فهي للمعاني القائمة بذاته تعالى كالأجسام للأرواح، والأرواح من أمر الله ولا تظهر الروح إلا بالجسم كما لا يظهر المعنى إلا بالحرف.



ذكر معاني بعض صفات الله تعالى

ـ القدم عبارة عن نفي الأولية أو سلب العدم السابق للوجود.

ـ البقاء عبارة عن عدم تناهي الوجود أو سلب العدم اللاحق للوجود.

ـ المخالفة للحوادث سلب العَرَضية والجرمية ولوازمهما عن الله تعالى لازم العَرض المحل، ولازم الجرم المخصص.

والأشياء بالنسبة إلى المحل والمخصص على أربعة أقسام **نظمها بعضهم**:

ذاتُ المُهيمِنِ إلى المَحَلِّ لا ... تحتاجُ لا ولا مُخَصِّصٍ تَلا

أمَّا صفاتُهُ فَفِي محلِّهِ ... وَعَنْ سبيلِ الافتقارِ نزِّهِ

والجِرْمُ يحتاجُ لثاني ذَيْنِ [1] ... أما صِفَاتُهُ فللأمْرَينِ

ومما يتعلق بالقدم قول بعضهم:

مَنْ قال : سَبْقُ الله خَلْقَ الله ... بِزَمَنٍ لَيسَ لَهُ تَنَاهِي

أو قَالَ بَلْ لَهُ تَنَاهٍ فكِلاَ ... قَولَيْهِ إِفْكٌ واضِحٌ لَنْ يُقْبَلا

---

(١) أي أجرامنا قبل إيجادها يحتاج لثاني ذين أي المخصص.

وذاكَ إنَّ أَوَّلَ القَـــــــــــــولَينِ

يَلــــزَمُ مَنَـــهُ عَـــدَمُ الكَـــونَيْنِ

لأنَّـــــهُ تَوَقُّـــــفُ الإيجـــادِ

عـــلى زمـــانٍ مـــا لَـــهُ نَفَـــادُ

ولازِمٌ عـــلى المقـــالِ الثَّـــانِي

حـــدوثُ رَبٍّ مـــا لَـــهُ مِـــنْ ثـــاني

فَبَطَـــــلَ الـــــلَّازِمُ والمَلْـــــزُومُ

لَكِـــــنَّما إلهُنَـــــا القَيُّـــــومُ

لم يَتَقَيَّـــــدْ بِزَمَـــانٍ أو مَكَـــانْ

إذْ هُـــوَ خـــالقُ المكـــانِ والزَّمَـــانْ

ومعنى الوحدانية في حق الله تعالى: نفي الكم المتصل والمنفصل في الذات وكذا في الصفات، ونفي الكم المنفصل فقط في الأفعال.

هذه الأبيات لابن حنبل في معنى وحدانية الذات:

وواحدٌ في الـذَّاتِ مَـنْ حـازَ العُـلا

أيْ أنَّـــهُ غـــيرُ مُرَكَّـــبٍ عَـــلا

إذْ لَـــو تَرَكَّـــبَ لكـــانَ جِـــسْما

وذا محـــالٌ، ثُـــمَّ أيـــضاً إمَّـــا

بِكُــلِّ جُــزْءٍ صِــفَةُ الأُلُوهِيَــهْ

تقــومُ أو بَعْــضٍ فَقَــطْ فلتَدْرِيَــهْ

فَـــأَوَّلٌ مِنْـــهُ تَعَـــدُّدٌ لَـــزِمْ

وآخــرٌ مِنْــهُ الحــدوثُ يَنْحَــتِمْ

لأنَّ الإسْــتِواءَ للأجــزا وَجَــبْ

فــالبعضُ ذَا مخـصَّصٌ بــلا رِيَــبْ

ولــيسَ مَعْنــى النَّفْــيِ للتَّرْكِيْــبِ

عــن ذاتِ ذَا المهــيمِنِ الرَّقِيْــبِ

إنَّ الإلَـــهِ جُـــزُؤٌ لا يَقبَـــلُ

تجـــزُّؤاً إذْ ذاكَ لـــيس يُعقَـــلُ

لأنَّـــهُ إِذَنْ يَـــصيرُ جَـــوهَرَا

فَـــرْدَاً وذا امتناعُـــهُ تَقَـــرَّرَا

بَـــلِ المـــرادُ أنَّ خـــالقَ البَـــشَرْ

لا يَقْبَــلُ الكِــبَرَ كَــلَّا والــصِّغَرْ

إذْ ذَاكَ مِــنْ عــوارضِ الجِرمِيَّــهْ

عــنْ ذا تعالَــتْ ذاتُــهُ العَلِيَّــهْ

(فائدة) الفرق بين الجرم والجسم، أن الجرم أعم، لأنه يطلق على المركب وغيره كالجوهر الفرد، وأما الجسم فلا يطلق إلا على المركب، والجوهر الفرد هو مالا يقبل الإنقسام لدقته، كأصغر الرمل.

❊ ❊ ❊

القدرة والإرادةُ

قال سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه: الأشياء كلها صادرة من حضرة الإرادة إرادة الله تعالى، ولكن الطاعة مظهر نور وخير وتَنزِل إلى حضرة الملائكة إلى حضرة المؤمنين،و المعصية مظهر نار وظلمة وتنزل إلى حضرة الشياطين إلى حضرة الفاسقين، ولا عذر مع الاختيار في تجاوز الأحسن إلى ضده.

وقال رضي الله عنه: إذا أراد الله أمراً سبب له أسباباً وظهر سبحانه بالأسباب ولا يظهر بالقدرة في الدنيا وإنما يظهر بها في الآخرة، فالقدرة في الدنيا تابعة للأسباب وفي الآخرة الأسباب تابعة لها، والقدرة في الدنيا خافية في الأسباب والأسباب ظاهرة فيها، وفي الآخرة القدرة ظاهرة والأسباب خافية فيها، ويجعل سبحانه لكل أمر سبباً غير سبب الآخر ليعلم الناس وسع قدرته تعالى. انتهى.

وقال سيدنا الإمام عيدروس بن عمر الحبشي رضي الله عنه: **الإرادة إرادتان**: **الأول**: إرادة الله تعالى واقعة لا محالة.

الثاني: إرادة العبد وهي من إرادة الله، ولكنها لما تعلقت بالعبد كان منها ما يتم وهو ما أراد الله إيقاعه من المقدورات ومنها ما لا يتم وهو ما لم يرد الله إيقاعه فيريد العبد الأمر ثم يتخلف وقوعه فيتبين بذلك أن الله لا يريد إيقاعه فإرادة الحق تامة لا تتخلف، وإرادة العبد إن صحبتها إرادة الحق تمت وإلا فلا تتم. انتهى من النهر المورود.

وسئل سيدنا الحبيب عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به، عن قول الإمام الغزالي «ليس في الإمكان أبدع مما كان»؟.

فأجاب بقوله: المراد بالإمكان هنا العلم، أي ليس في علم الله الذي سبقت به قدرته أبدع مما كان، لأن كل ما أراده قد فعله فلا يكون إلا ما أراده وفعله، فالذي لم يكن من متعلقات القدرة والإرادة فهو محال، وهذا المعنى لائق في حق الله تعالى، وأما في حقنا ليس في الإمكان أبدع مما كان، فما موصولة وليس فيها إشكال. انتهى مجموع كلامه.

وفي كلام الحبيب الإمام علوي بن محمد الحداد رضي الله عنه قال: كان الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي رضوان الله عليه يفسّر ويوضّح مقالة الإمام الغزالي المذكورة بقوله: متى كان، أي ليس في الإمكان أبدع مما كان متى كان. انتهى.



فصل في صفة الأفعال

قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] أي شؤون يبديها لا يبتديها.

اعلم أن أفعال الله تعالى لا توصف بالأغراض، أي لا يفعل الله شيئاً لعلة باعثة له على الفعل أو الحكم، لأن الأغراض تستلزم الإفتقار، وهو تعالى غني عمَّن سواه.

والفاعل ثلاثة:

الأول: فاعل بالاختيار، وهو الذي يتأتَّى منه الفعل والترك معاً، إن شاء فعل وإن شاء ترك، وهو الله سبحانه وتعالى وحده.

الثاني: فاعل بالطبع، وهو الذي يتأتَّى منه الفعل دون الترك ويتوقف على وجود شرط، وانتفاء مانع، كإحراق النار عند مباشرتها للأشياء، فإنه يتوقف على وجود محروق وعدم وجود بلل من ماء ونحوه.

الثالث: فاعل بالعلة أي السبب، وهو أيضاً الذي يتأتَّى منه الفعل دون الترك، لكن لا يتوقف على شرط كحركة الخاتم بحركة الأصبع.

(فائدة) الغرض: هي العلة الباعثة على الفعل؛ والعلل أربعة: العلة الفاعلية، والعلة المادية، والعلة الصورية، والعلة الغائية وهي الباعثة على المقصود والغاية.

فصلٌ

نظم بعضهم حكم من يقول بنسبة التأثير لغير الله عزَّ وجَل فقال:

وَمَـــــنْ يَقُـــلْ لِـــسَبَبٍ تَـــأْثِيرُ

بِنَفْـــسِهِ حَـــتْمٌ لَـــهُ التَّكْفِـــيرُ

وَمَـــنْ يَقُـــلْ لِقُـــوَّةٍ أَودَعَهـــا

فيـــهِ إلهُنَـــا وَإِنْ نَزَعَهَـــا

مِنْـــهُ فَـــلا يَمْنَـــعُ مِـــنْ تَـــأثيرِهِ

فَعَـــنْهُمُ الخِـــلافُ في تَكْفِـــيرِهِ

(تنبيه) قال سيدنا الإمام عيدروس بن عمر الحبشي رضي الله عنه: إسناد المسببات للأسباب لا يقدح في التوحيد كما هو واضح، إلا إن قطع نسبته عن الله تعالى، أو جعل للسبب أصلاً في الإيجاد، وأما جَعلُهُ فاعلاً مجازاً فلا بأس به ولا حرمة ولا كراهة فضلاً عن أن يكون كفراً. انتهى النهر المورود.

❊ ❊ ❊

قولهم في أفعالِ العباد

(فائدة) فعلُ المكلف بالنسبة إلى خطاب الله تعالى على ثلاثة أقسام:

١ـ ما يتعلق به خطاب الوضع وخطاب التكليف، وهو ما صحبته قدرة العبد وإرادته، مثل ما إذا شجَّ شخصاً، أو قَتل دابته.

٢ـ ما لا يتعلق به واحد منهما، وهو ما لم تصحبه قدرة العبد ولا إرادته، كحركة المرتعش.

٣ـ ما يتعلق به خطاب الوضع فقط، وهو ما صحبته قدرة العبد دون إرادته، كحركة النائم والسكران.

(تنبيه) معنى الكسب المنسوب للعبد هو نسبة الفعل لقدرته وإرادته الحادثتين من غير تأثير ألبتَّه، وعليه يترتب المدح والذم والثواب والعقاب.

(مسألة) سئل سيدنا الإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه ونفعنا به؛ ما قولكم في أفعال العباد؟

فأجاب بقوله: الذي نعتقده وندين الله به، أنه ما يكون كائن من خير وشر، ونفع وضر، إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومذهبنا هذا برزخ بين مذهبين:

أحدهما: مذهب الجبرية القائلين بأن العباد مجبورون على ما يأتون ويذرون مضطرون في كل حال، تضاهي أفعالهم أفعال الناسي والمكره، بل أفعال المجنون والنائم وهذا مذهب يعرف بطلانه ببديهة العقل، لو لم يدل دليل على كونه باطلاً.

والثاني: مذهب المعتزلة القائلين بأن أفعال العباد الإختيارية خلق لهم، وأنهم إن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا تركوا.

وأما ماهية الكسب الذي نقول به، فهو شيء يعرفه الإنسان من نفسه، إذ لا يعْزُبُ عن عاقل بين أفعاله الإختيارية والإضطرارية، وأنه في الإضطرارية منها مجبور، وفي الاختيارية غير مستقل. انتهى من المكاتبة.

وقال رضي الله عنه في تثبيت الفؤاد: مذهب القدرية خير من مذهب الجبرية وإن كانا باطلين، لأن الأولين إنما نسبوا إلى أنفسهم قدرة، وأما الآخرين فإنهم عطلوا الأحكام الشرعية وهذا هو الزندقة بعينها.

وقال أيضاً: فلينظر الإنسان كل أمر إذا شاء فعله وإذا شاء تركه، فهو محل التكليف والثواب والعقاب، وهو غير كلام أهل الجبر أنه مكتوب عليَّ ومقدر عليَّ، وكلهم محجوجون فمن أين علموا أنه كتب عليهم؟

وقد احتج إبليس لعنه الله بين يدي الله بهذه الحجة فما نفعته، قال الله سبحانه تعالى له: لأي شيء ارتكبت معصيتي وعصيت أمري؟ قال يا رب هذا أمر قد كتبته علي. قال الله سبحانه وتعالى: متى علمت أني كتبته وقدَّرته عليك قبل الفعل أم بعده؟ قال بل بعده. قال تعالى بهذا أخذتك. انتهى.

قلتُ: والخلاصة كما قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه: إن من نسب المشيئة والكسب إلى نفسه فهو قدَري، ومن نفاهما عن نفسه فهو جبري، وكل منهم بعيد عن الصراط المستقيم، ومن نسب المشيئة إلى الله تعالى والكسب إلى العبد فهو سني صوفي، والله أعلم.

وسئل الحبيب الإمام العارف بالله عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه: كيف يلام العبد على الفعل المذموم وقد كتب الله عليه ذلك؟

فأجاب بقوله: لأنه قد بيَّن له الطريقين طريق الخير وطريق الشر، وأخذ العهد على جميع الخلق في يوم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فالمؤمنون لم يخالف فعلُهم قولَهم وحفظوا العهد، والكفار نقضوا العهد، لأن فعلهم خالف قولهم، والحق سبحانه وتعالى له الحجة البالغة على عباده.

وقال رضي الله عنه أيضاً: لما خلق الله الخلق قضى بالخير لمن يشاء منهم وقضى بالشر لمن يشاء منهم ثم اختار لهم الخير قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] فالاختيار بعد الخلق، وأَمَر الخلق أن يختاروا ما اختاره لهم من الخير، فمن وافق اختياره اختيار الله فهو الموفق، ومن لم يوافق اختيار الله فهو المخذول. والكفار وإن سبقت إرادة الله لهم بالشقاوة، مأمورون من الحق بالإسلام، ومعاقبون على تركه، لأنهم قد قالوا بلى وخالفوا لتكون لله الحجة البالغة قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. انتهى مجموع كلامه.

في النبويَّات

اعلم أن بين الصدق والأمانة والتبليغ وأضدادها في حق الرسل عليهم السلام نسبةَ عموم وخصوص من وجه، **نظمها بعضهم فقال:**

واجتمـــعَ التَّبليـــغُ والأمانـــهْ

والـصِّدقُ في التَّبـديلِ عَمْـداً كانَـهْ

والــصِّدقُ والتَّبليْــغُ في التَّبــديلِ

سَــــهْواً فـــما إليـــهِ مِـــنْ سَـــبيلِ

أمَّـــا أمانَـــةٌ وتبليـــغٌ فـــما

للكـتمِ عَمْـداً مَـنْ سَـبيلٍ مَعْهُـما

وانفـــردَ التبليـــغُ بِـــالكَتْمانِ

سَـــهْواً فـــما لِنَفْيِـــهِ مِـــنْ ثَـــانِي

والــصِّدْقِ بِالزَّيــدِ إذا سَــهوٌ يَقَــعْ

كـــذا الأمانـــةُ بِفِعْـــلٍ امْتَنَـــعْ

قلتُ: معنى الأمانة في حق الرسل عليهم السلام، حفظ جوارحهم الظاهرة والباطنة من فعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى، فأفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب والمباح ولهم ثواب المباحات بالنيات الصالحات. وما ثبت عنهم من فعل مكروه كبوله

صلى الله عليه وآله وسلم قائما، ووضوئه مرة أو مرتين، فعله لبيان الجواز، وهو في حقه صلى الله عليه وآله وسلم لأجل التشريع.

* * *

فصلٌ
في عصمة الأنبياء عليهم السلام

اعلم أن جمهور المحققين قائلون بعصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر، والذي وقع من بعضهم إنما وقع على سبيل الخطأ أو النسيان، وإنما عوتبوا عليها لكونهم في حيز القرب، فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

قال سيدنا الإمام عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه: إن الأنبياء لهم العصمة والأولياء لهم الحفظ، ولا يصل إلى مرتبة الأنبياء أحد.

وما ذكر في القرآن مما وقع من الأنبياء مما صورته المعصية فليس بمعصية، لأنهم معصومون من المعاصي، فما وقع منهم فهو قبل أن يقع الحكم عليهم بتحريم ذلك الفعل، وإذا كان كذلك فليس بمعصية.

وقال رضي الله عنه ونفعنا به: الشيطان له مدخل على جميع الرتب والمقامات، إلا مقام النبوة فإن حقه العصمة فلا قدرة له عليه، وأما الأولياء فإنهم محفوظون ومتداركون بالتوبة، ولا يصل أحد إلى مرتبة الأنبياء في المعرفة بالله سبحانه وتعالى. وأما بقية العلوم فقد يوجد عند المفضول منها ما لا يوجد عند الفاضل لإطلاق صفة العلم، كقصة الخضر مع موسى عليهما السلام.

والبحر المشار إليه في قول أبي يزيد «**خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله**» هو بحر المعرفة بالله، والأنبياء جاوزوه ووقفوا بساحله، والأولياء خاضوه ولم يصلوا حيث وصل الأنبياء. انتهى مجموع كلامه.

قلت: وإلى ذلك يشير قول الإمام الحداد في قصيدته:

وفي بحـرِ أسرارِ الوُجُـودِ نَعُـومُ

أي: لم نزل نعوم ولم نصل إلى ما وصل إليه الأنبياء لعصمتهم.

وكان سيدنا الإمام عيدروس بن عمر الحبشي رضي الله عنه يقول في الفرق بين العصمة والحفظ: أن العصمة للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فلا تجوز عليهم المعاصي لا الكبائر ولا الصغائر لا قبل النبوة ولا بعدها، والحفظ للأولياء رضي الله عنهم، فإنهم محفوظون من المعاصي ولكنها جائزة عليهم في نادر الأحوال، ولكنهم إذا وقعت منهم المعصية أقلعوا عنها في الحال فلا تضرهم المعصية.

وكان رضي الله عنه يلوم بعض المفسرين الناقلين للقصص التي فيها سوء أدب مع الأنبياء عليهم السلام، وما فيه نسبة لهم إلى شيء من الهفوات.

وقد تقرر عند أهل الحق أنهم معصومون، وما كان منهم مما صورته معصية فليس بمعصية حقيقة، وغاية ما يكون أنه خلاف الأولى. انتهى من نهر المورود.

(فائدة) لقد نظم بعضهم الخلاف في وقت عصمة الأنبياء فقال:

للأنبيـا عِـصمَةٌ مِـنْ حـينَ أَنْ بُعِثُـوا

ذا القَـولُ كـانَ لأهـلِ الحـقِّ مُـشْتَهِرا

وقيـل عِـصْمتُهُم مِـنْ حـينَ أنْ وُلِـدُوا

وقيــلَ عنــدَ بلــوغٍ ذان مــا اشَــتَهرا

(فائدة) نظم بعضهم المختلفين في نبوتهم:

في خَــضِرٍ اختَلَفَــتْ أهــلُ النُّقــولْ

قيــــلَ : نَبِــــيٌّ أو وَلِيٌّ أو رَسُـــــولْ

لُقـــمانُ ذو القـــرنينِ حَــوًّا مَــريمَا

والوَقْــفُ في الجميــعِ رأيُ العُلَـــما

❋ ❋ ❋

فصل
في معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

المعجزة: هو الأمر الخارق للعادة المقارن لدعوى الرسالة مُتَحدًّاً به مع نفي المعارضة.

فخرج بقولنا: المقارن لدعوى الرسالة الإرهاصات، وهي ما يظهر على يد نبي قبل بعثته تمهيداً لنبوته.

وخرج بقولنا: مُتَحدًّاً به الكرامة، وهي ما يظهر على يد عارف بالله المقرب لديه إكراماً له.

وخرج بقولنا: مع نفي المعارضة السحر ونحوه.

وقد نظم بعضهم هذه الأقسام بقوله:

بـالمعجزاتِ وبالإرهـاصِ قَـدْ حُبِيَـتْ
دونَ البَرِيَّـــــةِ أربــــابُ النُّبُــــوَّاتِ
والأوليـــاءُ وبـــاقي المــؤمنينَ حُبُــوا
مِـــنْ رَبِّهِـــمْ بِكَرَامَـــاتٍ مَعُونَـــاتِ
والكـافرونَ بالاسـتدراجِ قَـدْ هَلَكُـوا
كـــذاكَ بِالـــسِّحْرِ أيـــضاً والمَهَانَـــاتِ

وأفاد سيدنا الإمام عيدروس بن عمر الحبشي نفعنا الله به: أن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ينقسم كل منهما إلى قسمين: أحدهما منقضي والآخر مستمر باقي.

مثاله في المعجزات القرآن الكريم مستمر، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ ونحوه منقضي.

ومثاله في الكرامات علم العلماء وما ورثوه من العلوم التي أقدرهم الله تعالى مما لا يكون في طاقة البشر وإنما يكون خارقاً للعادة، فهذه كرامة مستمرة باقية، وما وقع من الكرامات كإحياء الميت وطي الأرض وإيجاد المعدوم من غير محاولة سبب ونحو ذلك من الكرامات التي قد انقضت.

ويستشهد لهذا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل».

(فائدة) أقسام خوارق العادة سبعة نظمها بعضهم بقوله:

أَجَلُّهَا مُعْجِزَةُ النَّبِيِّ

وبعدَهَا كَرَامَةُ الوَلِيِّ

وقبلَهَا الإرهاصُ وَهْوَ المُؤْنِسُ

قبلَ النُّبُوَّةِ لها مُؤَسِّسُ

وبعدَها مَعُونَةٌ لِمُسْلِمِ

لِيَتَخَلَّصَ بِهَا مِنْ مَظْلَمِ

وبَعْدَ ذاكَ الابتلاءُ جَالي

مِنْ خارِقٍ على يَدِ الدَّجَّالِ

وَسَمِّ الاسْتِدْرَاجَ كُلَّ خَارِقِ

لِمَنْ عَنِ الدِّينِ القَويمِ مَارِقِ

وبعـــــدَ ذَا مَهَانَـــــةٌ أي : مُعْلِمَـــــهْ

تكـــذيبَ كـــافرٍ كـــما مُـــسَيْلَمَهْ

دَعَـــا لأعـــوَرَ بِـــصِحَّةِ البَـــصَرْ

فـــصارَ أعمـــى فـــدعاؤُهُ أَضَرْ

(فائدة) نظم بعضهم ترتيب الأفضلية بين الأنبياء والملائكة:

وأنبيـــاءُ اللهِ فُـــضِّلوا عـــلى

مَـــنْ مِـــنْ ملائـــكِ الإلـــهُ أَرْسَـــلا

ورُسُـــلُ الملائِـــكِ الكـــرامِ

فـــاقُوا جميـــعَ صـــالحِ الأنـــامِ

وصـــالحُ الأنـــامِ طُـــرَّاً فُـــضِّلوا

عـــلى الملائـــكِ إذا لم يُرسَـــلُوا

(فائدة) نظم بعضهم الذين لا تأكل الأرض أجسامهم فقال:

لا تأكُـــلُ الأرضُ جُـــسومَ الأنبيـــا

والأوليـــا وذي الرِّبـــاطِ فادْرِيـــا

والعُلَـــما وحامِـــلِ القُـــرآنِ

إِنْ عَمِـــلا محتـــسبِ الأذانِ

مطعـــونٍ إِنْ بِـــصَبرِهِ يَحْتَـــسِبِ

ذي الحُـــبِّ للهِ وعَجْـــبِ الـــذَّنَبِ

قلت: ومنهم أيضاً شهيد المعركة، إن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، قال صاحب الزبد:

وما شـهيد باليـاً ولا نبـي

❊ ❊ ❊

فصل
في الكرامة

(**مسألة**) في معنى كون الكرامة من المعجزة.

وقد سئل عن ذلك سيدنا الإمام عبدالله بن علوي الحداد نفع الله به؟

فأجاب بقوله:

أما كون الكرامات من المعجزات، فذلك بحكم التبعية دون الاستقلال، فليس هي هي وليس لها حكمها من كل الوجوه ولا من أكثرها، إذ المعجزة تدل على صدق الرسول والكرامة الصادرة من الولي المستقيم على الشريعة تدل على صدقه في حسن متابعته لنبيه، ثم يدل ذلك على أن الشرع المتبع له حق وصدق فمن هذه الحيثيَّة قالوا إن كل كرامة لولي فهي معجزة للنبي الذي يكون ذلك الولي من أتباعه. انتهى.

وسئل رضي الله عنه عن قول بعضهم، إن إنكار كرامات الأولياء كفر مع قول العلماء فيه أنه بدعة؟

فأجاب بقوله:

كلام العلماء في ذلك هو المعتمد، والمذكور عن الشيخ أبي تراب النخشبي رحمه الله تعالى، محمول على كفر دون كفر أو على من أنكرها استبعاداً لوقوعها من حيث القدرة الإلهية أو على وجه آخر والله أعلم. انتهى من المكاتبة.

حياة الخضر عليه السلام

فيها اختلاف بين أهل الظاهر، فمنهم من يقول أنه قد مات ويحتجون بالحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد»[1]. وأجاب القائلون بحياته، أن كل مكان يطلق عليه اسم الأرض كقوله تعالى: ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٣٣] فيكون معنى الحديث لم يبق على ظهر الأرض التي هو فيها مكة أو غيرها. وأما أهل الباطن فإنهم ما عندهم شك في حياته، لتواتر اجتماعهم به ولكونه نقيباً على الأولياء.

قال سيدنا العارف بالله عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به: إن الخضر عليه السلام أوتي علماً مخصوصاً به دون غيره ومأذونٌ له في إظهاره، ولكنه لا يظهر شيئاً مما عنده إلا موافقاً للشرع المحمدي فهو مقيد بالشريعة، ومن يقل أن معنى الخضر رتبة خضرية فليس بصحيح، بل هو خضر موسى عليه السلام وليس بنبي بل هو ولي، ويبقى ظهوره حتى لا يبقى أحد من الأخيار، ولو كان نبياً ما دخل تحت حكم موسى، فإنه لم يقتل الغلام ويخرق السفينة، ولم يقم الجدار، إلا بحكم موسى، فعلمه داخل تحت حكم موسى. انتهى.

(فائدة) نظم بعضهم أسماء الخضر عليه السلام فقال:

الخَـضِرُ المَـشْهُورُ عَنْـدَ النَّـاسِ ... بَلْيـا بـنُ مَلْكـانَ أبـو العَبَّـاسِ

مَنْ حَفِظَ الكُنْيَـةَ ثُمَّـتَ الـسُّما ... أَبـاً مَـعَ اللَّقَـبِ مَـاتَ مُـسْلِما

---

(١) متفق عليه، الخاري: باب السمر في العلم (١١٦)، ومسلم (٦٦٤٢).

فصل
في عالم الملائكة

قال سيدنا الإمام عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه في الملائكة: إنهم تجردوا عن هذا العالم السفلي، فلا يحتاجون لأكل ولا شرب ولا نكاح وغير ذلك للعالم العلوي وبقوا في مقام الخصوصية والترقي في الأفضلية، بمعنى أن بعضهم أفضل من بعض والكل قائم بما كلفه الله، ومَنْ فَضَّلَ خواص الآدميين عليهم، فإنما ذلك من وجه وباعتبار من حيث أنهم قاموا بما أمرهم الله به بما لم يكلف به الملائكة مع أنهم في قواطع كثيرة عن القيام به، وأولئك متجردون لما كلفوا به، ثم إن الآدميين في قيامهم بما أُمِروا به مع العجز بسبب البشرية إنما مددهم من الملائكة كما وقع في بدر وحنين. انتهى تثبيت الفؤاد.

وسئل رضي الله عنه عما جاء إن الملائكة لهم أجنحة يلتحفون ببعضها ويفترشون بعضها، وأن الواحد منهم كالجبل ونحو هذا مما يوهم إنما هم صور حسية مع أنهم أرواح؟

فأجاب بقوله: هم كذلك على الصور التي يتمثلون فيها، كما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبريل قد سد الأفق، وقال إنه على صورة دحية وكذا في القرآن ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ﴾ [فاطر: ١] وأما حالتهم الأصلية فهي الروحية والآدميون إنما يتمثلون كذلك بعد السلوك فحينئذ يمكن منهم ذلك وأما الملائكة فهذه حالتهم الأصلية. انتهى.

وقال سيدنا الإمام الحسن بن صالح البحر رضي الله عنه في الملائكة: إنهم خلقوا أرواحاً مجردة، وأن لذتهم في التسبيح والتقديس لباريهم فهم يسبحون الله ليلاً ونهاراً لا

يفترون فاستقاموا على جناح الأمر، والآدمي غير ذلك فإنه يطير إلى الله على جناحين، جناح التكليف بالأوامر والنواهي، وجناح التكليف بالنواهي أشد فلذلك لا يقدر على اجتناب المعاصي والوقوع فيها إلا الصديقون، وأما الأوامر فكلٌ يقدر عليها، ولذلك فُضِّل الآدميون على الملائكة، وقد قال سيدنا جبريل عليه السلام لما وقف عن العروج مع الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] فلم يقدر على الإرتقاء في درجات القرب إذ لم يَطِرْ إلى الله إلا بجناح الأمر فقط. انتهى.

وأفاد الحبيب عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه: أن الملائكة يتطورون في صور مختلفة، لكنهم إذا ظهروا بهذه الصور لا يتكلمون إلا إن ظهروا للأنبياء فيقع منهم الكلام مع ظهور صورهم كما تصور جبريل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلَّمهُ، وأما لغير الأنبياء فلا يقع منهم الكلام مع ظهور صورهم بل إما يسمعون كلامهم من غير رؤية أو يرونهم ولا يكلمونهم وكذلك الجن يتصورون بصور مختلفة ويظهرون بها ويتكلمون، فالفرق بين الملك والجني أن الملك ترى صورته ولا يكلمك، أو يكلمك ولا ترى صورته والجني ترى صورته ويكلمك. انتهى.

وأفاد رضي الله عنه أيضاً: أن الملائكة لم يكونوا مثل بني آدم، لأنهم ملازمون لحالة واحدة ولا يتقلبون في الأحوال التي يتقلب فيها الإنسان، ولذلك سجد لآدم الملائكة إلا إبليس أبى واستكبر، وليس إبليس من الملائكة فهو استثناء منقطع لأنه خلق من نار والملائكة من نور واستثناه منهم لكونه في موطنهم وإلا فهو أجنبي. انتهى.

قلت: وهذا هو اختيار المحققين من أهل العلم أن إبليس من الجن لا من الملائكة لأدلة كثيرة منها النص الصريح في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]. وأن إبليس له ذرية، بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ﴾ [الكهف:٥٠]، والملائكة لا يتزوجون، لأنهم ليسوا بذكور ولا إناث.

وقال رضي الله عنه: إن الملائكة الموكلين بالنار لا يجدون حرها ولا يصيبهم شيء مما فيها من العذاب، وأن العذاب والتحريق الموجودين فيها مخصوص بمن دخلها بالحكم عليه بالتعذيب بها. فقيل له وهل مثل ذلك يكون للملائكة الموكلين بأهل الجنة؟

فأجاب: بما يفهم منه أن لهم مشاركة في نعيم أهلها. انتهى.

❊ ❊ ❊

عالم الجنِّ

استدل بعضهم أن مؤمني الجن يدخلون الجنة بقوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤]. ولما أنهم خُلِقوا من النار التي خُلِق منها إبليس قال العلماء إنهم لا يرون الله تعالى، ولم يَرِدْ ذلك في صريح الأخبار.

وقد سُئل الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه عن مؤمني الجن هل لهم حظ في المعرفة الخاصة، وفي الرؤية إذا دخلوا الجنة؟

فأجاب نفع الله به بقوله: اعلم أن الشيخ العارف عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى ذكر أن للجن أي المؤمنين منهم حظاً في المعرفة الخاصة، وأنهم سألوه عن مسائل منها، وعقد لجوابهم كتاباً سماه «كشف الران عن وجه أسئلة الجان».

وأما الرؤية لله تعالى في الجنة فاعلم أنه قد وقع خلاف في مؤمني الجن هل يدخلون الجنة أم لا؟ وأجيب بأنه لم يوجد دليل صحيح خاصاً بهم في دخول مؤمنيهم الجنة، ووقع الاحتجاج بعمومات لم يسلمها القائل بعدم الدخول، والذي يظهر لي والعلم عند الله عَزَّ وجل، أن المؤمنين منهم يدخلون الجنة ويرون الرب فيها إن شاء الله تعالى. انتهى.

وقال سيدنا الإمام عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به: إن الله أعطى الجن قدرة على التشكل والتصور في أي صورة أرادوها، وأن الهوى لهم مثل الأقمشة يفعلون ما شاءوا منه، ومتى تصور الجني في أي صورة كانت امتنعت عليه أذية غيره، فإذا ضر أحداً استحضر في تلك الصورة التي ضرَّ غيره فيها وحكم الشرع عليه بالبقاء فيها، ولولا ذلك لضَرَّ الناس كثيراً. انتهى.

في السمعيات

قال الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه:

الأمـور الغيبيـة الإعتقاديـة كسـؤال الملكيـن حظ القلب منه التصـديق والتسليم، ولا يطلع عليه إلا بواسطة النبوة فقط، ولا يسأل عن كيفية ذلك وكيف تكون صفته، فما بلغنا عن أحد من الصحابة أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال رضي الله عنه: أمور الآخرة كلها محتملة، ولا على الإنسان إلا أن يؤمن بها مجملة ولا يفصل.

❊ ❊ ❊

فصل في عالم البرزخ وما بعده[1]

قال الله تعالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

قال سيدنا الإمام عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه: والنعيم للمؤمنين والعذاب للكافرين يكون بأجسامهم الأصلية التي كانوا عليها في الدنيا لأنها هي العاملة في الدنيا فيقع الجزاء لها، والإنسان مركب من الروح والجسم وهو يعرف أن الحركات والإدراكات ليس بالجسم فقط ولكنها بالروح والجسم، فإذا ارتفعت الروح تَعطَّل الجسم عن حركاته وسكناته وإدراكاته فصار جثة لا يتحرك ولا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، وبعد ارتفاع الروح عن الجسم تكون منعَّمة إذا كان صاحبها من أهل الطاعات، أو معذَّبة إذا كان صاحبها من أهل المعاصي وتبقى لها ملاحظة للجسم وتعلق به لأنها لابد لها من رجوعها إليه، كما إذا أخرج الإنسان ثوبه ليغتسل فإنه يبقى ملاحظاً له حتى يلبسه.

وقال رضي الله عنه بعد ذكر البرزخ: فلابد من نعيم الأرواح في البرازخ أو عذابها ولو كانت في غراغر الطيور وقعار البحور.

والأجسام تحسُّ بذلك ونحن ما نرى في القبور إلا العظام لكون بصرنا مقصور نظرها على الأمور الظاهرة في الدنيا، وقد تنكشف حقائق الأمور لبعضهم من باب خرق العادة. انتهى.

---

(١) من البعث والنشور.

وقال سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه من أثناء المكاتبة: وأما نبات الخلق قبيل البعث فيكون خارج الأرض متصلاً بها كالبنيان فيما يظهر، ولا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] فإنه أراد خروجاً بعد خروج بأرواح وأجسام مهطعين إلى الداعي وذلك غير الخروج الأول، وكذلك وقوفهم على الصراط عند تبديل الأرض لا بُعدَ فيه فإنه إذ ذاك موجود ويوسعه الله إذا شاء ثم يجعله بعدُ دقيقاً للمرور عليه واختبار الصدق. انتهى.

وسئل رضي الله عنه عن أحوال الأرض والسماء وحكمهما يوم القيامة هل تبدلان؟

فأجاب بقوله: وأما أحوال الأرض والسماء يوم القيامة فالظاهر أنهما تتبدلان وتتغيران ويشملهما ما قضى الله به من عموم الفناء على هذا العالم الدنياوي والملكي، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الآية وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الرحمن: ٣٧] الآية ثم تعاد الأرض والسماء فتكونان هما الأرض والسماء اللتين كانتا.

وقال الحبيب الإمام أحمد بن حسن العطاس نفع الله به: الدنيا دار تكليف وعمل والبرزخ دار عمل بلا تكليف، والآخرة لا فيها عمل ولا تكليف، وشاهد ذلك حديث: «مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره»[١].

وقال رضي الله عنه: أمور البرزخ معنوية لا تدخل تحت العقل، وأهل البرزخ لهم وجهان: وجه إلى الدنيا ووجه إلى الآخرة، ويراعون كثيراً من الأشياء، وقد يتطرق الخلل إليهم في بعض الأشياء من جهة وجه الدنيا. انتهى.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٠).

(مسألة) سئل الحبيب عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه هل حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخصوص بأمته أم عام لكل الأمم؟

فأجاب بقوله: ليس هو عام بل مخصوص بأمته، وكل نبي له حوض مخصوص بأمته على حسب كتب الأنبياء فتعددها بتعدد الكتب. انتهى.

❊ ❊ ❊

فصلٌ

الصحيح المشهور أن الصراط أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيف كما ثبت ذلك في صحيح مسلم[١]، خلافاً للقرافي حيث قال إنه عريض وفيه طريقان يمنى ويسرى فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال.

قال بعضهم في الرد عليه:

وَهُــوَ مِــنَ الدِّقَّــةِ في نِهايَــهْ   عـلى الـذي أَتَـتْ بِـهِ الرِّوَايَـهْ

تبَّـاً لقــومٍ ألحَـدُوا في أمــرِهِ   مـا قَـدَرُوا الإلـهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ

والرَّبُّ لا يُعْجِـزُهُ إمْشَاؤُهُم   عليــهِ إِذْ لم يُعْيِــهِ إِنْــشَاؤُهُمْ

❋ ❋ ❋

---

(١) حديث رقم (٤٧٣).

في عالم الأرواح

قال سيدنا الإمام أحمد بن حسن العطاس رضي الله عنه: إن الله يخير المؤمن إذا مات بين أن تكون روحه في قبره أو تدور في الأرض أو تكون في السماء.

ومن كلام الحبيب العارف بالله الحسن بن صالح البحر نفع الله به:

إن الموت قبض للأرواح ثم يجعلها الله في عليين أو سجين، وهي عنده مجموعة إلى ميقات يوم معلوم أرواح أهل الإيمان في نعيم ومسرات وأفراح، وأرواح الكفار والمنافقين في عذاب أليم وأحزان وأتراح، فالروح باقية إما منعمة في برزخ أو معذبة.

وأما الجسم فيبلى كله غير عجب الذنب، ثم إذا أراد الله البعث أفاض من بحر الحياة ماء على السماء فتمطر على القبور ثم يُنفخ في الصور فتخرج الأرواح طائرة كل روح إلى جسدها فتدخل من الخيشوم، وهذا يَسِيرٌ على الله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨] جلَّت قدرته.

وقال رضي الله عنه: خلق الله الأرواح جميعاً وناداها بلسان الخطاب الأزلي الأبدي الذي لا يسمع بحاسة السمع قائلاً: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فأجابت جميع الأرواح: ﴿بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إذ شهدت وتحققت أن لا رب سواه ولا موجد لها إلا إيَّاه، ثم أهبطها إلى العالم السفلي وركب فيها النفس والهوى فكانت في أسفل سافلين كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٤ ـ ٥] وكانت تلك الأرواح مثلها مثل الأشجار، منها الميتة ومنها اليابسة غصونها

ناسية غافلة عما كانت عليه في العالم العلوي من المعرفة بالله والقرب منه، فلما جاءتها دعوة الله تذكرت ذلك وانتفعت بها الأرواح الحية السالمة العروق كما قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] ولم تنتفع بها الأرواح الميتة. انتهى.

وذكر سيدنا الإمام عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه: يوم أخرج الله ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إن الذرية كانوا بأجسامهم وأرواحهم إلا أن أجسامهم صغيرة على مثل الذر قال الحبيب عبدالله الحداد:

ومسحَ يَدِ الـرَّحمنِ ظهـرَ صَـفِيِّهِ
فأخرَجَهُم كالـذَّرِّ يـومَ الـشَّهَادَةِ

فالذين يقولون أنهم أرواح بلا أجسام غلطوا، فإنهم تلقوا الحكم وعاهدهم على ذلك، وهذا لا يكون إلا بجسم وروح وهذه النشأة كائنة بكلمة كن.

والنشأة الثانية: نشأة الحياة الدنيوية في عالم الحكمة وهي تكون بالتدريج، والجسم هو ذلك الجسم إلا أنه كبر حجمه وطبائعه الأربعة فيه، وهذا هو الجسم الواقع عليه التكليف.

والنشأة الثالثة: هي النشأة الأخيرة عند قيام الساعة وهي كالنشأة الأولى بكلمة كن، والجسم هو الذي يتنعم في الجنة لأنه العامل في الدنيا فهو الذي يستوفي الجزاء. وأما الأطفال فهم تبع لآبائهم ويكونون في منزلتهم لأن آباءهم لا يكمل نعيمهم إلا أن كانوا أولادهم عندهم. وأما أطفال الكفار فيكونون خدماً للمؤمنين في الجنة وهو زيادة عذاب للكفار. انتهى.

(فائدة) سئل الشيخ الإمام عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه هل الأموات ينفعون الأحياء بشيء؟

فأجاب نفع الله به بقوله: نعم إنهم يشفعون لهم ويدعون لهم، فإن أعمال الأحياء تعرض عليهم فإن رأوه حسناً دعوا لهم بالثبات عليه والزيادة منه أو سيئاً دعوا لهم بالتوبة والمغفرة كما ورد.

والأموات أكثر نفعاً للأحياء منهم لهم لأن الأحياء مشغولون عنهم بهمِّ الرزق والأموات قد تجردوا عنه ولم يكن لهم همٌّ إلا في الذكر وفيما قدموه من الأعمال الصالحة، لا تعلق لهم إلا بذلك كالملائكة، وما يعملونه من الأعمال الصالحة كالذي رؤي في قبره يقرأ في مصحف وغير ذلك مما يُحكى عن الأموات فالظاهر أنهم لا يثابون عليها لانقطاعهم من دار التكليف، وإنما ذلك ليتلذذوا به كالملائكة غذاؤهم الذكر وما ورد «إذا مات ابن آدم انقطع عمله»[1] إلى آخره أي عمله لنفسه. انتهى تثبيت الفؤاد.

* * *

---

(١) صحيح مسلم (٤٣١٠).

في الشفاعة

نظم بعضهم أنواع الشفاعة يوم القيامة فقال:

أمـــا الـــشفاعةُ فَـــسَبْعٌ وَرَدَتْ
أربعـــــةٌ بالهاشـــــميِّ انْفَـــــرَدَتْ

أولى الـــشفاعةِ لِكُـــلِّ الخلـــقِ
وَهْـــيَ لِتَعْجِيـــلِ الحِـــسَابِ الحَـــقِّ

ثانيـــةٌ: وَهْـــيَ لِقَـــومٍ يَـــدْخُلُونْ
في غَمْـــرَةِ النَّـــارِ وَمِنْهَـــا يخرُجُـــونْ

ثالثـــةٌ: وَهْـــيَ لِمَـــنْ يَـــسْتَوجِبُ
أن يَـــدْخُلَ النَّـــارَ وعنهـــا يُحْجَـــبُ

رابعـــةٌ: وَهْـــيَ لِقَـــومٍ نَاجِيَـــهْ
بِـــلا حِـــسَابٍ في دُخـــولِ العاليـــهْ

خامـسةٌ: وَهْـيَ لِرَفْـعِ الـدَّرَجَاتْ
أهـــلِ النَّعـــيمِ في الحظـــوظِ الباقيـــاتْ

سادســةٌ: وَهِــيَّ للتَّخفيــفِ مِــنْ
عــذابِ مَــنْ في القَــبْرِ بعــدَ مَــا دُفِــنْ

سـابعةٌ: وَهْـيَ لِتَخفيـفِ العَـذَابْ
عـن بعـضِ أهـلِ الكُفْـرِ في يـومِ الحـسَابْ

قلت: زاد بعضهم ثامنة وهي شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لأصحاب الأعراف في دخولهم الجنة لما رواه الطبراني[(١)] عن ابن عباس، وأرجح الأقوال فيهم أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. ذكره في الفتح.

❊ ❊ ❊

(١) في المعجم الكبير ٩/ ٣٩١ (١١٢٩٢).

في ذكر الجنة والنار وأحوال أهلهما

اختلف العلماء في عدد الجنة على ثلاثة أقوال نظمها بعضهم:

أمَّـــا الجنـــانُ فالجنـــانُ ســـبعةُ
فـــيما أتـــى، وقيـــلَ بَـــلْ أربعـــةُ

وقيـــلَ هِـــيْ واحِـــدَةٌ لِكَنَّهـــا
مـــشهورُها الـــسَّبْعَةُ عِنْـــدَ العلـــما

أولهـــا الفـــردوسُ ثُـــمَّ المـــأوى
ثُـــمَّ النعـــيمُ الخُلْـــدُ فـــيما يُـــروَى

جناتُ عَـدْنٍ بعـدَها دارُ الـسَّلامْ
ثُمَّــتَ دَارُ الخُلْـدِ بعـدُ والـسَّلامْ

وقال سيدنا الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه من أثناء جواب: وأما الجنة فظاهر القرآن يقتضي أنها في السماء وأنها درجات، وفي بعض الروايات مائة درجة، وفي بعضها أن درجاتها بعدد آي القرآن وهي أكثر من ستة آلاف.

وأما الجنات فثمان في كل جنة جنات كثيرة، وأعلاها الفردوس الأعلى وسقفها عرش الرحمن، وأما أهلها فهم النبيون والمرسلون وعباد الله الصالحون، ودرجاتهم فيها على حسب إيمانهم وأعمالهم فمن رفيع وأرفع وعليّ وأعلا، وليس فيهم وضيع ولا دنيّ البتة.

وأما النار فقد قيل أنها الآن تحت الأرض السابعة، وقيل: تحت البحار، وهي دركات بعضها تحت بعض، وعددها سبع وأعلاها جهنم لعصاة الموحدين، وأسفلهن الهاوية وهي التي لا قعر لها ولا قرار. انتهى.

قلت: وقد نظم بعضهم أسماء جهنم بقوله:

لِلنَّـــارِ سَـــبْعُ طَبَقَـــاتٍ مُعْلَمَـــه
جَهَـــنَّمٌ لَظَـــى كَـــذَاكَ الْحُطَمَـــهْ
ثُـــمَّ الـــسَّعِيرُ سَـــقَرٌ ثُـــمَّ الجحـــيمْ
هاوِيَـــةٌ مـــن كـــلِّ عَـــوْذاً بِـــالرَّحِيمْ

أعاذنا الله منها آمين.

وقال سيدنا الإمام عبدالله الحداد رضي الله عنه أيضاً:

الجنة لا شمس فيها ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، ولكن بكرة وعشية، تنعكس البكرة على العشية، وتنعكس العشية على البكرة، وهي أشبه شيء بوقت الإسفار بعد صلاة الصبح مع اعتدال الوقت ولطف الهواء في ذلك، ومن طبيعة الشمس الحرارة ومن طبيعة القمر البرودة، وبلغنا أن الله تعالى يوم القيامة يسلبهما نورهما فيجعله في الجنة زيادة في ضوئها ونورها، ويلقيهما في النار مع الذين كانوا يعبدونهما زيادة في حر النار وزمهريرها، وليست الجنة درجة واحدة بل هي درجات مختلفة لاختلاف أعمال أهلها كما أن النار دركات لاختلاف العصاة لأن منهم من عصى الله بالكفر ومنهم بالنفاق، ومنهم بالمعاصي.

والدرجات ارتقاء من حين يدخلها يرتقي في درجاتها إلى أعلاها الفردوس، والدركات نزول من حين يدخلها ينزل في دركاتها إلى أن ينتهي إلى أسفلها الهاوية.

وقال رضي الله عنه: وأهل الجنة لا ينامون بسبب النعيم الذي هم فيه، وأهل النار لا ينامون بسبب العذاب الذي هم فيه فانظر كيف اشتركوا في عدم النوم واختلفوا في المادة. انتهى تثبيت الفؤاد.

قلت: وقد سئل الشيخ الإمام أحمد بن إدريس المغربي رحمه الله عن النوم ألاَّ يكون في الجنة مع أنه معدود من اللذات في الدنيا؟

فأجاب: إن لوجوده في الدنيا نعمتين، ولعدمه في الجنة نعمتين؛ **فنعمتا وجوده في الدنيا**، أنه جعله سباتاً، والسبات ربطة للعقل، لأن المجنون الذي قد ذهب عقله لا ينام. **الثانية**: الراحة من النصب فإذا نام ذهب التعب.

وأما اللتان في الجنة عند عدمه، فإن أهل الجنة قد شاركوا الحق في البقاء كما جاء أنه يكتب إليهم: من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت. **أما بعد**: فإني أقول للشيء كن فيكون، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون، وهو سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم. **والثانية**: يفوتهم عند النوم من النعيم العظيم ما لا مزيد عليه وذلك غبن. انتهى مع حذف يسير.

وسئل الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه عن أجسام أهل الجنة وكلامهم، أيكون على المعهود من أجسامنا وكلامنا في هذه الدار أو على وجه آخر؟

فأجاب بقوله: نعم على المعهود من أجسامنا وكلامنا وطعامنا وشرابنا إلى آخر ما يتعاطاه، ولا يجوز أن يعتقد غير ذلك على ظاهر ما ورد في الكتاب والسنة من غير تأويل، إلا أن أجسام أهل الجنة أعظم من هذه الأجسام كما ورد، وتكون مدركاتها أوسع بكثير حتى بلغنا أن الشخص من أهل الجنة ينظر بنظره إلى مسافة سبعين سنة من كل جهة، ولهم في النكاح والأكل وغيرهما اتساع عظيم يليق بذلك الموطن.

وأما من يعتقد أن أجسام أهل الجنة وكلامهم ولذاتهم تكون من قبيل المعاني والمدركات الروحانية فهو معتقد الفلاسفة في هذا الأمر. انتهى.

وقال الحبيب الإمام عبد الله بن محسن العطاس: طور ونشأة أهل الجنة على خلاف طور ونشأة أهل الدنيا، ومثال أهل الجنة مثال الصبي في بطن أمه يصل إليه الغذاء منها ولكنه لا يبول ولا يتغوط.

وقال رضي الله عنه: أهل الجنة جنتهم معهم وهم في الدنيا، ويخرجون بها معهم إذا ماتوا، فأهل الخير في جنة معنوية وهذه الجنة المعنوية هي روح الجنة الحسية التي أعدها الله لهم في الدار الآخرة، فإذا دخلوها انتعشت بهم وارتعشت لأنهم روحها وحياتها، وهكذا أهل النار، وهم الكفار والمنافقون نارهم معهم في الدنيا، ويخرجون بها معهم إذا ماتوا فهم في الدنيا في نار معنوية وهي روح النار الحسية المعدة لهم في الدار الآخرة، فإذا دخلوها اشتبت والتهبت فهي خامدة إلى أن يدخلوها فتحيى بهم لأنهم روحها، فأهل الجنة وأهل النار هم هؤلاء الذين في الدنيا ليسوا غيرهم، فالعاملون بعمل أهل الجنة هم أهل الجنة، والعاملون بعمل أهل النار هم أهل النار. انتهى من مجموع كلامه.

❊ ❊ ❊

في رؤية الباري سبحانه وتعالى

اعلم أن رؤية الذات المقدسة هي أعظم نعيم أهل الجنة بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء، كما قيل:

وأكبرُ مِنْ هَذَا رِضَى الرَّبِّ عَنْهُم
وَرُؤيَتُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ غيرِ حَاجِبِ

ولم تقع في الدنيا لغير نبينا محمد ﷺ فإنه رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء والمعراج في وقت الدنيا وفوق السماء السابعة.

والرؤية: معنىً يخلقه الله في العبد الذي أراد تعالى أن يمنَّ عليه برؤيته بلا كيف ولا إحاطة ولا انحصار ولا تحديد بجهة.

قال الإمام علي بن عثمان الفرغاني رحمه الله في بدء الأمالي:

يَرَاهُ الْمُؤمِنُونَ بِغَيرِ كَيْفٍ وإدراكٍ وضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ
فَيَنْسَونَ النَّعِيمَ إذا رَأَوْهُ فَيَا خُسرانَ أَهْلِ الإعْتِزَالِ

قال سيدنا الإمام الحسن بن صالح البحر رضي الله عنه:

إن رؤية الحق سبحانه وتعالى إنما هي بالقلب والسر كما يترآى لكل واحد منهم على إنفراده، وليست كرؤية المخلوقين لأنه جلت قدرته منزه عن ذلك وفي الجنة يترآى لهم في

تصريفات نعمه ومظاهر آياته وصفاته لأنه لو احتجب عنهم لما وجدوا لذة النعيم، هذا في عموم أهل الجنة، وأما الخصوص فتجليه لهم تجلي خاص لأنه يخطبهم إلى رؤيته، ومعاني ذلك كثيرة ولا يليق الخوض فيها. انتهى.

وقال سيدنا الحبيب عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه: أبصار أهل الدنيا لكونها محدودة لا تقدر على رؤية الله تعالى ولا حتى على أمور البرزخ لضعف البصر الدنيوي وأما في الآخرة فتقوى أبصارهم ويمدهم الله بقوة فيها حتى يقدروا على رؤيته سبحانه وتعالى. انتهى.

قلت: وتحقيق المقام في مسألة رؤية الله تبارك وتعالى، أن رؤيته بالأبصار جائزة عقلا في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلا في الدنيا قول موسى عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] لأن موسى لا يخفى عليه المستحيل والجائز في حق الله تعالى، فسؤاله دليل على جوازه.

وأما شرعا فهي جائزة وواقعة في الآخرة كما دلت عليه الآيات وتواترت به الأحاديث الصحاح، وأما في الدنيا فممنوعة شرعا كما يدل عليه قوله تعالى في آية الأعراف ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وحديث: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[١]. أفاد ذلك بعض المحققين في تفسيره.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٤/ ٤١٩ (٧٧٦٤).

في القضاء والقدر

الفرق بين القضاء والقدر، أن القضاء إرادة الله تعالى المتعلقة بالأزل، والقدر إيجاد الله تعالى الأشياء على الوجه المعين الذي أراده، فيكون الأول من صفات الذات، والثاني من صفات الأفعال.

وقد نظم بعضهم ذلك بقوله:

إرادَةُ اللهِ مَــــــعَ التَعَلُّـــــــقِ
بِــــــأَزَلٍ قـــــضاؤُهُ فَحقِّـــــقِ

والقَـــدَرُ الإيجَـــادُ للأشـــيا عَـــلَى
وَجْـــــهٍ مُعَـــــيَّنٍ أرادَهُ عَـــــلا

وبعــضُهُم قَــدْ قَـالَ : مَعْنَــى الأوَّلِ
العلـــــمُ مَــــعْ تَعَلُّـــقٍ بِـــالأَزَلِ

والقَـــــدَرُ الإيجَـــــادُ للأمُـــــورِ
عـــلى وِفَـــاقِ عِلْمِـــهِ المـــذكورِ

قال الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه: الأشياء كلها من القضاء والقدر لا من الأسباب، والأسباب مظهر لها، ومنه طول العمر بالبر، وقصره بالفجور، فإذا برَّ وطال عمره، أو فجر وقصر عمره فهو مقضي عليه أن يفعله، ومقضي عليه أن يحصل له من العمرين ما حصل.

وقد قيل: إن مسألة القضاء والقدر مسألة غامضة لا تتضح إلا يوم القيامة.

وقد قالوا: الرضا بالقضاء أن تفعل ما يرضى الله به ظاهرا، وترضى بما يقضيه باطنا فهذا هو الحق والصواب، وما كان غير ذلك فهو باطل وغرور وفتنة.

وقال رضي الله عنه: مسألة القضاء إنما هي اعتقاد في الباطن، لا مسألة احتجاج وإظهار فتعتقد، ولا تكون في الأعمال أليس تحريك يدك باختيارك فهذا هو الكسب والاكتساب، ولا يظهرها ويتكلم بها للعامة إلا من أراد أن يَضِلَّ أو يُضِلّ، والقضاء والقدر بحر عميق. انتهى تثبيت الفؤاد.

وقال العارف بالله الحبيب عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه بعد كلام: فعلى العبد أن يرضى بالقضاء من حيث هو قضاء مطلقا، وليس له أن يرضى بالمقضي من حيث هو شر قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]. ففرق بين القضاء والمقضي، ولكن لا ينبغي أن ينسب الشر إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال رضي الله عنه أيضاً: ليس لمن يفعل شيئا من المعاصي أن يحتج بالقضاء، ويقول رضيت بالقضاء، فالقضاء لا يعلمه إلا الله، ونحن لا نعلم إلا المقضي.

والمقضي: هو الذي يظهر على العباد مما سبق به القضاء وله حكمان: إيجادي وهو الذي يظهر على الإنسان، وإيجابي وهو وجوب التوبة من هذا الإنسان إذا كان في معصية.

فمن أتبع الإيجادي الإيجابي بالتوبة من المعصية فقد رضي بالقضاء ومن لم يتب وقال رضيت بالقضاء فقد أخطأ، والحجة قائمة عليه لأن الذي قضى عليه بالمعصية أوجب عليه التوبة منها فكيف يخالف أمر الله ويقول رضيت بالقضاء. انتهى.

قلت: قال علماء التوحيد؛ إن الخير بقضاء الله وإرادته ورضاه، وإن الشر بقضاء

الله وإرادته دون رضاه، قال تعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، فالأمر والرضا لا يكونان إلا بالخير، وأما الإرادة فتتعلق بالخير والشر.

وقالوا أيضا: إن للكفر والمعاصي جهتين، جهة كونهما مقضيين ومقدّرين، وجهة كونهما مكتسبين للعبد، فيجب الرضا بهما من الجهة الأولى لا الثانية، فعلم أن القضاء غير المقضي، وأن القدر غير المقدَّر، والذي يجب الرضى به إنما هو القضاء والقدر.

(حكاية)

يحكى أن القاضي عبد الجبار من رؤساء المعتزلة اجتمع في مجلس مع الأستاذ أبي إسحاق الاسفرايني من أكابر أهل السنة رحمه الله تعالى، فقال عبد الجبار: سبحان من تنزه عن الفحشاء!.

فقال الأستاذ أبو إسحاق مجيبا له: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء.

فقال عبد الجبار: أيريد ربنا أن يعصى؟!.

فقال الأستاذ أيعصى ربنا قهرا؟

فقال عبد الجبار: أرأيت إن منعني الهدى، وقضى علي بالردى، أحسن إلي أم أساء؟

فقال الأستاذ: إن منعكَ ما هو لك فقد أساء، وإن منعكَ ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء!. فانقطع عن الجواب كأنه ألقمه حجراً.

❋ ❋ ❋

فصل
في السعادة والشقاوة

السعادة لغة: ضد التعب، **واصطلاحا**: المصلحة اللاحقة في العقبى وهي الموت على الإسلام ودخول الجنة والنظر إلى وجه الكريم، والشقاوة عكس ذلك والعياذ بالله، والأعمال إنما هي دالة عليهما، قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسَّر لما خلق له فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى أعمال أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى أعمال أهل الشقاوة»[١].

فالسعادة والشقاوة مقدّرتان في الأزل لا يتغيران ولا يتبدّلان، وإنما الخاتمة تدل على السابقة، فمن ختم له بالإيمان دلَّ على أنه في الأزل كان من السعداء، وإن تقدمه كفر، ومن ختم له بالكفر دلّ على أنه في الأزل كان من الأشقياء وإن تقدمه إيمان.

قال في الزبد:

إن الــشقي لــشقي الأزل وعكــسه الــسعيد لم يبــدل

ويدل على ذلك حديث الصحيحين: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[٢]. أفاد ذلك في هدية الأخوان.

---

(١) البخاري في تفسير سورة الليل (٤٦٦٦)، والأدب المفرد (٩٠٣).

(٢) البخاري: كتاب القدر (١٢٢٦)، ومسلم (٦٨٩٣).

قلت: قال سيدنا العارف بالله عمر بن عبدالرحمن العطاس على الحديث المذكور: أن الذي يعمل بعمل أهل الجنة الغالب عليه دخول الجنة لأن الظاهر عنوان الباطن وإن دخل النار فإنما هو على الندور، وذلك مثل من سقط من مكان قريب فإن الغالب سلامته، وإن الذي يعمل بعمل أهل النار الغالب عليه دخول النار، وإن دخل الجنة فإنما هو على الندور، وذلك مثل من يتردى من رأس جبل فإن الغالب هلاكه. انتهى من القرطاس.



الكلام في أهل الفترة

قال الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه ونفعنا به من أثناء الجواب: إن للعلماء اختلافا في أهل الفترات الكائنة بين الأنبياء وفيمن لم تبلغه الدعوة ممن هو في أقاصي البلاد وأقطارها الشاسعة، فمن قائل بتعذيبهم لأنهم لم يوحدوا الله والله لا يغفر أن يشرك به، ومن قائل يقول بعدم تعذيبهم لأنهم لم تبلغهم دعوة ولم تقم عليهم حجة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] في آيات كثيرة، ومن قائل يقول بالوقوف وهو الأسلم والأحزم لأن الأدلة على الأمرين من النقليات والعقليات فيها ما يشبه التعارض وإن كان لا تعارض في حقيقة الأمر.

ثم قال : والناظر في هذه الأشياء إن كان ممن يخشى الله ويتقيه لا يمكنه القطع والجزم إلا بما صرحت به الشريعة ونصّت عليه نصًّا محققا لا معارض له، وهذا في مثل هذه الأمور كالمتعذر. انتهى مع حذف من المكاتبة.

وقال سيدنا الإمام عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به فيمن تجرأ، ويقول إن أبوي النبي ﷺ في النار.

قال: من أي وجه يحكمون عليهم بذلك والأدلة واضحة بنجاتهم، فأول دليل على نجاتهم أنهم من أهل الفترة، وأهل الفترة لا يعذبون كما هو مقرر عند أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وهم لم يحضروا رسالته، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] ويدخل في هذه الآية آباؤه كلهم إلى آدم وغير ذلك من الأدلة، ومع ذلك فقد ثبت وصح أن الله أحياهم له

وأسلموا على يديه وهذا تشريف وزيادة إكرام له، وهذه المزية مزية الإحياء والإسلام على يديه أقوى حجة وأكبر دليل على نجاتهم وتكفي هذه الحجة القوية من لا يعقل ولا يفهم لشقاوته، وأما من يعقل ويفهم فلا يحتاج إلى الاستدلال على نجاتهم بل يعتقد نجاتهم ولو ما أحياهم الله له وأسلموا على يديه للأدلة القاطعة على نجاتهم، ولكن رتبة الشقاوة لابد من عمارتها بأهلها. انتهى.

وقال الحبيب العلامة عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط رحمه الله في كتابه هدية الإخوان: وقد ذهب كثير من حفاظ المحدثين إلى أن الله أحيا له ﷺ أبويه فآمنا به واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها وهو وإن كان ضعيفا من جهة الصناعة الحديثية، لكنه صح عند بعض أهل الحقيقة.

كما أشار إليه بعضهم بقوله:

أيقنْــــتُ أنَّ أبـــا النَّبِـــيِّ وأمَّـــهُ

أحياهُمــا الــرَّبُّ الكــريمُ البــاري

حَتَّــى لــهُ شَــهِدَا بِــصِدْقِ رِسَــالَةٍ

حَقًّـــا وَتِلْـــكَ كَرَامَـــةُ المختـــارِ

هذا الحـديثُ وَمَـنْ يَقُـول بِـضَعْفِهِ

فَهُوَ الضَّعيفُ عـنِ الحقيقـةِ عـاري

قال بعض شراح الحديث: وعلى تسليم أنه حديث ضعيف فضعفه إنما هو من جهة الصناعة الحديثية، وأما نجاة أبويه ﷺ وإيمانهما بل وحصول أعظم منازل أهل الإيمان لهما فهو اعتقادنا يشهد بذلك جلالة قدره وعلو منصبه عند ربه، فإذا كان الواحد من ذريته بل من صحابته بل الواحد من أمته ﷺ يناله من فضل الله ورحمته

بواسطته ﷺ وبركته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فكيف لا ينال أبواه ﷺ من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، كيف وقد منّ الله عليهما بمزية خروجه من بينهما رحمة للعالمين. انتهى.

وقال الحبيب العارف بالله عبد الله بن محسن العطاس رضي الله عنه أيضاً: لابد في كل زمان من سبعة مسلمين يعملون بحكم الله المشروع على نبي ذلك الزمان وآباء النبي ﷺ يكون الموجود منهم في أي زمان كان أحد السبعة المذكورين، انتهى من مجموع كلامه.

❊ ❊ ❊

في ذكر المهدي المنتظر

سئل سيدنا الإمام أحمد بن حسن العطاس رضي الله عنه هل المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمان موجود؟. قال نعم موجود في علم الله، ثم قال إن الخلافة المهدية لا تكون إلا لأهل البيت ولا تكون لغيرهم.

قال سيدنا الشيخ عبد الله الحداد رضي الله عنه:

وَمِنَّا إمامٌ حانَ حينُ خروجِهِ

يقومُ بأمرِ اللهِ خيرَ قيامِ

فيملؤُها بالحَقِّ والعدلِ والهدى

كما مُلِئَتْ جَوراً بِظُلْمِ طَغَامِ

إذا قامَ قُمْنَا والمُوَفِّقُ رَبُّنَا

بِنُصْرَتِهِ إنْ رَاثَ حِينُ حِمَامِ

وإلا فَنَرْجُو أنْ يقومَ بِنَصْرِهِ

فروعٌ مِنَ البيتِ المَصُونِ نَوَامي

وقال سيدنا الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه: والمهدي جامع بين القطبية والخلافة كما سيدنا علي كرم الله وجهه على مقتضى الظاهر والباطن وهو مجدد لهذا الدين.

ومعنى التجديد: تقرير أمور الدين بين يدي الناس طال بها العهد حتى اختلف اجتهادهم فيقررها على الوجه الحق، لا أنه يخترع من الكتاب والسنة أمراً لم يكن ويلزم العمل بقوله لأنه مقرر من الشارع، وعلومه كلها وهبية يفتح الله عليه معاني الكتاب والسنة فيقرر الأحكام الشرعية على أكمل وجوهها وعلى الوجه المحبوب عند الله وعند رسوله، وهذا هو علم أهل البيت النبوي، كما قيل لسيدنا علي رضي الله عنه، «هل خصكم رسول الله ﷺ بعلم دون غيركم، قال: لا، إلا فهم في كتاب الله». انتهى من تثبيت الفؤاد.

وقال رضي الله عنه في المكاتبة: والمهدي إنما هو رجل كامل يشترط أن يكون عالما بالكتاب والسنة واختلاف الأمة، وله قدرة تامة على الحروب، وقتل الأعداء وقهر المخالفين من الكافرين والباغين وإقامة العدل بين المسلمين، ونصرة المظلومين من الظالمين، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها من الزكوات والفيء والغنيمة وقسمة ذلك بالسوية بين المجاهدين والضعفاء والمساكين وغير ذلك من الشرائط التي يقر له أهل الحق والدين والعلماء والصالحين ووجوه المسلمين. انتهى.

❊ ❊ ❊

فصل
في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

وقد تواترت النصوص في الكتاب والسنة على حياة المسيح عيسى ابن مريم وأنه سينزل آخر الزمان إلى الأرض ويحكم بالشريعة المحمدية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩] أي: ليس أحد من اليهود والنصارى إلا ويؤمن بعيسى بأنه عبد الله ورسوله قبل موت عيسى، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بكفرهم وانحرافهم حيث عبدوه من دون الله، وروى البخاري ومسلم: أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلاً فيكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[1].

ويجب علينا أن نعتقد بأن الله تعالى نجّى عيسى من مكر اليهود ورفعه حيًّا بجسده وروحه إلى السماء فهو حي غير مصلوب ولا ميت، قال الله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧]. وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] فالمعنى كما قال أهل التفسير: إني رافعك إلى السماء ثم متوفيك عند انتهاء أجلك، والمقصود من الآية بشارته عليه السلام بنجاته من اليهود ورفعه إلى السماء سالماً دون أذًى يلحقه من أولئك الأشرار.

---

(١) البخاري باب نزول عيسى ابن مريم (٣٢٦٤)، ومسلم (٤٠٦).

والعجب من النصارى حيث يعتقدون ألوهية عيسى عليه السلام مع قولهم أنه قتل وصُلب، فكيف يكون إلهاً بهذه الصفة لا يستطيع أن يتخلص من أعداءه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

وما أحسن ما يقول الشاعر ردًّا على هؤلاء الأغبياء:

أعبَّادَ المسيح لناسؤال نروم جوابه ممن وعاه

إذا صُلِبَ الإلهُ بفعل عبدٍ يهوديٍّ فما هذا الإلهُ

صدق الله العظيم حيث يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

قال العلماء: وشبهة النصارى قالوا: لا يمكن أن يوجد ولد بدون أب، فلابد أن يكون أبوه هو الله، وبعضهم اعتقدوا فيه الألوهية فقالوا هو الله نفسه، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فآدم عليه السلام خلق من تراب من غير أب ولا أم فأيهما أعجب عيسى ولدته أمه، فكانت له أمًّا تحمله، أو آدم لم تجد أمًّا تحمله، فالذي قدر على خلق آدم بلا والدين قادر من باب أولى على خلق عيسى من أُم دون أن يكون له أب ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

خاتـمـة

أجمع أهل السنة سلفاً وخلفاً أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي على ترتيبهم في الخلافة، واجمعوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص على خلافة رجل معين بل أشار إلى ما سيكون بعده من غير وصية بذلك كقوله: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»[١] رواه الترمذي. وقوله: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر». رواه مسلم[٢].

قال العلماء: وما يتمسك به الشيعة من الظواهر التي توهم كون علي رضي الله عنه متعينا للإمامة معارض بنصوص كثيرة تشير إلى تعين الصديق يجب تقريرها، وتأويل ما عارضها لانعقاد الإجماع على مقتضاها.

وسئل سيدنا الإمام العارف بالله الحسن بن صالح البحر رضي الله عنه، ما دليل معتقد أهل السنة والجماعة في تقديمهم الخلفاء الثلاثة على سيدنا علي كرم الله وجهه ؟

فأجاب بقوله: الدليل في ذلك إجماع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم الصديق ثم الفاروق ثم عثمان في المبايعة، وهم لا يجتمعون على ضلالة قط للحفظ الإلهي لهم، وحاشاهم وحاشا سيدنا علي أو واحد منهم أن يخفي الحق أو يترك القيام به خيفة أو مداهنة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[٣]. وقد

---

(١) في الشمائل (٣٨٩).

(٢) برقم (٦٣٣٢).

(٣) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ١/ ١٦٢، والخطيب البغدادي في الكفاية ١/ ٤٨.

استدلوا أيضا على تقديم الصديق رضي الله عنه لإمامة الصلاة، وقالوا : «رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لدينا»[١]. انتهى.

(فائدة) نظم بعضهم العشرة المبشرين بالجنة مع ذكر قبائلهم:

لآلِ عبــدِ منــافِ الغُــرِّ أوجُهُهُــمْ
يُنْمَــى عــليٌّ وذو النَّــورَينِ عُــثمانُ
وبابنِ عـوفٍ وسَـعْدٍ زُهْـرَةٌ سَـعِدَتْ
تَــيْمٌ لِطَلْحَــةَ والــصِّدِّيقِ تَــزْدَانُ
أمَّــا ســعيدٌ أبــو حفــصٌ فقــومُهما
بَنُــو عَـدِيِّ الأُلى في الحـربِ فُرسـانُ
إنَّ زُبــيراً بِــهِ فــازَتْ بَنُــو أَسَــدٍ
مــا نــالَ مَنْــزِلَهُم في الجَــوِّ عُقْبَــانُ
أبــو عبيــدةَ فِهْــريٌّ بجــاهِهِمُ
يــا رَبِّ يــشمَلُنَا عَفْــوٌ وغُفــرانُ

قال بعض المحققين: أهل السنة والجماعة يعرفون بمحبة الشيخين أبي بكر وعمر، وموالاة الختَنين عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ونفعنا بهم وحشرنا في زمرتهم، وسموا بأهل السنة: لاتباعهم سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهم ينقلون الأخبار والآثار عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة رضي الله عنهم، والتزموا بما فيهما قولا وفعلا. ويضاف إلى السنة والجماعة: لأن أصلاً

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٧٤، وينظر كنز العمال (٣٦٦٩٨).

من أصول مذهبهم لزوم الجماعة، وهم السواد الأعظم والجمهور من المسلمين، وفي صحيح مسلم: «من فارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية»[١].

وسأل بعض الزيدية الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه، لأي شيء قدمتم على أبيكم علي بن أبي طالب غيره؟

فأجاب بقوله: هو الذي قدم غيره وفضله على نفسه فقدمناه نحن أيضاً وفضلناه لتقديمه له وتفضيله اقتداء به.

فقيلَ: إنما ذلك تقية، **فقالَ:** إنا لسنا مثله في قوته وشجاعته وصولته، فإذا فعل ذلك للتقية فمن أقوى منه أو مثله في الشجاعة والقوة، فالتقية التي وسعته هو، تسعنا نحن أيضاً.

قال: وما اعتقدوا (أي الرافضة) أن سيدنا علي أولى بالخلافة، فإنه لو ولي بعد النبي ﷺ لما كان منه إلا مثل ما كان لمّا ولي في وقته (أي من المنازعة التي حصلت والاختلاف لكونه مقدراً عليه ومقضياً) ويكفيه فضيلة ما له من الفضائل والمزايا وإن تأخرت خلافته، فإن ذلك أيضا زيادة في فضله، وما ذكره الرافضة بأنه سكت في بعض الأشياء تقية فليس سكوته فيها جبناً وإنما هو للإبقاء على المسلمين، وكراهة منه لشق العصا بينهم. انتهى من تثبيت الفؤاد مع بعض حذف.

وقال الإمام عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به: أن الذي ظهر على سيدنا علي رضي الله عنه من عدم استتباب الأمور وكثرة المشاغبة والمنازعة له هو عين الرحمة لمحبيه والمعتقدين فيه، لأنه لو ما ظهر ذلك ربما يهلكون بكثرة الغلوِّ فيه وفي محبته. انتهى.

واعلم أن الرافضة والناصبة ضدان، وكل منهما بعيد عن الصراط المستقيم، فالرافضي ادعى محبة أهل البيت وبالغ في سب الصحابة وبغضهم. والناصبي: بالغ في

---

(١) متفق عليه؛ البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (٤٨٩٢).

التعصب من جهة الصحابة حتى وقع في عداوة أهل البيت، ونسب الإمام عليا رضي الله عنه إلى الظلم والكفر.

وأما أهل السنة: فإنهم سلكوا الطريق الوسط، فأحبوا أهل البيت، وأحبوا الصحابة، وحفظ الله تعالى ألسنتهم من الوقيعة في أحد منهم، إلا بالمدح والثناء عليهم، فله الحمد والمنة والشكر، أفاد ذلك الإمام حجة الإسلام الغزالي، نفع الله به.

❊ ❊ ❊

محبة أصحاب رسول الله ﷺ

يجب على المسلم أن ينطوي باطنه في أصحاب النبي ﷺ على المحبة والتوقير وحسن الظن بهم ولا يسيء ظنه بأحد منهم حتى يصير من الذين جاؤا من بعدهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

فمرتبة الصحابة رضوان الله عليهم مرتبة عظيمة حازوا مراتب عالية ومقامات سامية بصحبتهم للنبي ﷺ يحبهم ويحبونه فالذين يخوضون فيما جرى بينهم ويطعن فيهم لا يعبأ بكلامهم ولا يلتفت إليهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: «اللهَ اللهَ في أصحابي لا تتخذونهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» رواه الترمذي[١].

وقال ﷺ:«من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[٢]. أي: فرضاً ولا نفلاً، رواه الطبراني في الدعاء.

قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: من غاظه أصحاب محمد ﷺ فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال بعض الأكابر: هم شر من اليهود والنصارى، إذ هم يعظمون حواري أنبيائهم بخلاف هؤلاء.

---

(١) برقم (٣٨٦٢).

(٢) الطبراني في الدعاء، الأرقام (٢١٠٨، ٢١٠٩، ٢١١٠، ٢١١١)، وأحمد في فضائل الصحابة (٨).

قال الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه في تائيته الكبرى:

وأصـــــحابُهُ الغُـــــرُّ الكِـــــرامُ أئمَّـــــةٌ
مُهَـــــاجِرُهُم والقـــــائمونَ بِنُـــــصْرَةِ

نجـومُ الهـدى أهـلُ الفـضائلِ والنَّـدى
لقـــدْ أحـــسَنُوا في حمـــلِ كُـــلِّ أمانَـــةِ

ولا تعـدُ عـنهم إنَّهـمْ مَطْلَـعُ الهـدى
وَهُـــم بَلَّغُـــوا عِلـــمَ الكتـــابِ وسُـــنَّةِ

فـذوا القـدحِ فـيهم هَـادِمٌ أصـلَ دينِـهِ
ومُقْـــتَحِمٌ في لُـــجِّ زيـــغٍ وبِدْعَـــةِ

وقال الإمام العارف بالله أحمد بن إدريس المغربي رضي الله عنه: وإياك أن تخوض في الصحابة بشيء فإن الجناب خطر، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] واعلم أن رسول الله ﷺ قال في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه»[1]. وجرى بينه وبين معاوية ما جرى، فلا تنظر إلى ظاهر الأمر وانظر إلى حقيقته، فإن معاوية رضي الله عنه من الصحابة وأيضا فإنه خال المؤمنين فإن أم حبيبة أخته وهي زوج النبي ﷺ توفي وهي تحته بإجماع الأمة، والنبي ﷺ أبو المؤمنين فإن في بعض القراءات: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجهم أمهاتهم * وهو أب لهم». فإذا عرفت فسأضرب لك مثلا، إذا جئت وأبوك وخالك يختصمان فإن عضدت أباك أغضبت أمك وإن عضدت خالك أغضبت

---

(١) الترمذي (٣٧١٣).

أباك فإن كانا موجودين، فالأولى لك أن تسعى بينهما بالصلح وإن قد سلفا فقل ما ندبك إليه قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] من العقد النفيس.

وقال الإمام العارف بالله علي بن محمد الحبشي نفع الله به في الصحابة: «الله أكرمهم بشهود الطلعة المحمدية، رأوه في عالم الأجسام، سبقت لهم المحبة الأزلية، يخطئ ويذنب وهو محبوب عند الله، وحاشا الله أن يعذبهم، ما يجوز لمن يدعي الإيمان اعتقاد هذا، ولكن شقاوة وجراءة في بعض الناس، والعياذ بالله»، انتهى.

* * *

محبة أهل بيت رسول الله ﷺ

اعلم أن أهل البيت النبوي لهم الفضل والشرف على كل الناس لأن الله تعالى فضلهم وطهرهم من الأرجاس، وأوجب محبتهم على كافة الأجناس قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] **أي**: قل لهم يا محمد ما أريد منكم أجراً إلا محبتي ومحبة قرابتي.

وأقرباؤه صلى الله عليه وسلم هم عترته الطاهرة الذين ينسبون إليه وهم أولاد فاطمة رضي الله عنها ونسلهم أبداً إلى يوم القيامة. قاله النووي في شرح المهذب.

وفي الحديث عنه ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[٢]. وقال ﷺ: «لكل شيء أساس وأساس الإسلام حب رسول الله ﷺ وأهل بيته»[٣].

ويكفيهم شرفا وتقديرا أن الله تعالى شرع الصلاة عليهم في كل صلاة في التشهد الأخير كما هو مذهب الشافعية.

---

(١) الديلمي في مسند الفردوس ١/ ٢٤.

(٢) الترمذي (٣٧٨٩).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤١، وابن النجار في ذيل تاريخ بغداد.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

يـا أهــلَ بيــتِ رســولِ اللهِ حــبُّكم
فَــرضٌ مِــنَ اللهِ في القــرآنِ أنزلَــهُ
يكفــيكمُ مِــنْ عظــيمِ القَــدْرِ أَنَّكُــمُ
مَــنْ لم يُــصَلِّ علــيكُمْ لا صــلاةَ لَــهُ

وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي»[1]. وقال رضي الله عنه أيضا: «ارقبوا محمد ﷺ في آل بيته»[2]. أخرجهما البخاري، **ومعناه:** راعوا واحترموا.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس حين تزوج أم كلثوم بنت الإمام علي كرم الله وجهه: ألا تهنئوني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي». رواه الطبراني في الأوسط[3].

وقال سيدنا الحبيب عبد الله بن محسن العطاس نفع الله به: إن عدم ظهور خصوصية أهل البيت بكمالها للناس كلهم من الرحمة بهم لأنها لو ظهرت لوجب عليهم احترامها وتعظيمها كما يليق بها، وهذا مما لا يطيقه معظم الناس فصار ما يظهر من بشريات أهل البيت حجابا على خصوصياتهم، ومحبة أهل البيت أول ساس في كشف الحجب وتظهر لصاحبها نوراً يدله على الصواب، وبغضهم يظهر ضدّ ذلك. انتهى.

---

(١) البخاري (٣٥٠٨).

(٢) البخاري (٣٥٠٩).

(٣) الأوسط (٥٧٦٤، و ٦٧٩٧).

وقال سيدنا الإمام عبد الله الحداد في تائيته:

وآلُ رَسـولِ اللهِ بَيْـتٌ مُطَهَّـرٌ
محبَّـتُهُم مَفرُوضَـةٌ كَـالمَوَدَّةِ

هُـمُ الحـامِلُونَ الـسِّرِّ بَعْـدَ نَبِـيِّهِمْ
وَوُرَّاثُـهُ أكـرِمْ بِهـا مِـنْ وِرَاثَـةِ

قال الشيخ الإمام محمد بن علي خرد رحمه الله في كتابه الغرر: ومذهب أهل السنة والجماعة في اعتقاد ما يجب لأهل البيت النبوي ولأصحابه والتابعين من المحبة والترضي والترحم عليهم، وإن لكل منهم شفاعة ووجاهة عند الله في الدنيا والآخرة على حسب مراتبهم في الفضل، إذا الرجل العظيم القدر لَيَشْرُفُ بشرف قدره أهل بيته وكل من انتسب إليه بخدمة أو تبعية أو صحبة، فما ظنك بمن انتسب إلى المصطفى المكرم ﷺ بقرابة أو صحبة أو تبعية، فكيف والكتاب والسنة يشهدان لهم بالفضل وينطقان بما هم له أهل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، **وقال تعالى**: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] **أي**: وإن هذا الذي أُرسِلتَ به لشرف لك ولقومك بالذكر الجميل في الدنيا والآخرة. انتهى.

وعن أبي سعيد الخدري مرفوعا: «ثلاث حرمات لله من حفظهن حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له دنياه وآخرته: حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي»[١].

ثم قال: فمن حفظ الحرمات الثلاث فقد ركب في سفينة النجاة ومن لم يحفظهن فقد تخلف عن سفينة النجاة. انتهى.

---

(١) الطبراني في الكبير ٣/ ١٢٦ (٢٨٨١)، والأوسط (٢٠٣).

وقال الشيخ الإمام عبد الله الحداد رضي الله عنه شعراً:

أهــلُ بيــتِ المــصطفى الطُّهــرِ

هُـــمْ أمـــانُ الأرْضِ فـــادَّكرِ

شُـــبِّهُوا بـــالأنْجُمِ الزُّهـــرِ

مِثْـلَ مــا قَــدْ جــاءَ في الــسُّنَنِ

وسَـــــفِينٌ للنَّجَـــــاةِ إذا

خِفْــتَ مِــنْ طُوفَــانِ كُــلِّ أَذَى

فــانجُ فيهــا لا تَكُــونُ كَــذَا

واعتَــصِمْ بــالله واسْــتَعِنِ

تمت هذه الرسالة عشية الأربعاء الموافق **٢١** صفر عام **١٤٢٩هـ** بالمدينة المنورة والله أسأل أن يتقبلها وينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ومقربة إلى جنات النعيم. وأن يختم لنا بالحسنى ويبلغنا المقام الأسنى والمشرب الصافي الأهنى؟

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد الله رب العالمين

❊ ❊ ❊

فهـرس المحتـويـات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❊ ❊ ❊



من إصدارتنا



في اختصار



للإمام شهاب الدين السهروردي

انتخاب واختصار

الإمام البارع العارف بالله

الحبيب محمد بن زين بن سميط باعلوي

(١١٠٨هـ - ١١٧٢هـ)

تحقيق وتعليق

حمد الله حافظ الصفتي

قرأه وقدم له

إياد أحمد الغوج



من إصداراتنا



من إصدارتنا

الفتوحات العلية في الخطب المنبرية

تأليف

العلامة المحقق الداعي الى الله

الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط